

١٧١١
توفيق الحكيم

نحو المصباح الأخضر

الناشر : مكتبة الآداب بالجاميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة

مطبعة التوكل بالجاميز

١٩٤٢

١٧١١

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في اللغة العربية

محمد { (الطبعة الاولى : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
الطبعة الثانية : مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)

شهر زاد { (مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)

أهل الكهف { الطبعة الاولى : مطبعة مصر عام ١٩٣٣
الطبعة الثانية : مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٤
الطبعة الثالثة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠

عودة الروح { (مطبعة الرغائب عام ١٩٣٣)
في جزئين

أهل الفن : (مطبعة دار الهلال عام ١٩٤٠)

مسرحيات { المجلد الاول : ويشمل قصص : سر المنتحرة ، نهر
الجنون ، رصاصة في القلب ، جنسنا اللطيف .
توفيق الحكيم { (مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

القصص { بالأشتراك مع الدكتور طه حسين بك :
المسحور { (مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

المجلد الثاني : ويشمل قصص . الخروج من الجنة ، أمام
شباك التذاكر ، الزمار ، حياة مخطمت . (مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)

مسرحيات
توفيق الحكيم

الطبعة الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧

الطبعة الثانية
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر عام ١٩٣٨

يوميات نائب
في الأرياف

الطبعة الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

الطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤١

عصفور من
الشرق

الطبعة الاولى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

الطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤١

تحت شمس
الفكر

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

تاريخ حياة
معدة

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التي نشرت بالعربية

عهد الشيطان : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

مطبعة التوكل عام ١٩٣٩ { براكسا
أو
مشكلة الحكم

راقصة المعبد : مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

نشيد الأناشيد : مطبعة مصر عام ١٩٤٠

حمام الحكيم : مطبعة التوكل عام ١٩٤٠

سلطان الظلام : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

من البرج العاجي : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

مطبعة التوكل عام ١٩٤٢ { تحت المصباح
الأخضر

كتب توفيق الحكيم

التي نشرت في لغة أجنبية

شهر زاد } ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج
ليكونت عضو الاكاديمية الفرنسية .

عودة الروح } ترجم ونشر بالروسية في ليفنجراد عام ١٩٣٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ .

يوميات نائب
في الأرياف } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور
حافظ عفيف باشا

أهل الكهف } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت مدير دار الآثار العربية

عصفور من
الشرق } ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١

قال المسيح لتلاميذه : « خذوا كلوا هذا هو
جسدي ، خذوا اشربوا هذا هو دمي . . . الذي يسفك
من أجل كثيرين . . . »
استطيع أنا أيضا أنه أقول لقراي عن مجلدات كتبي :
« خذوا كلوا هذا هو جسدي ! » وعن عصارة فكري :
« خذوا اشربوا هذا هو دمي . . . الذي يسفك من
أجلكم ! »

نحضرني دائما كلمة لا وسط و ابلد ، ذلك الشاعر
الذي كانت حياته مائدة منقحة بالورد والخمر . لقد هابت
الطبيعة ، فطاه جسمها في كل شيء : في منظره وهدية
ومشاعره و كباشته . ذلك الشاعر عاش الجمال
أكثر مما أبدع وصوره . ولقد أدرك ذلك من نفسه

فقال : « لقد وضعت كل عبقريني في « مباتي » ، ولم

أضع في « كتي » الابعضه مواهي !

استطيع انا أيضا ان أقول ... لكن نقبضه ذلك :

« لقد وضعت كل مواهي (انه وهدت) في « كتي » ،

ولم أضع سبأ في « مباتي » !

...

هكذا أعبر الوجود الأرضي : نهراري في برج

عامي ، وليلي تحت مصباح أفضر !

ت . ١٠

يناير ١٩٤٢

أبن عبد ربه

في قهوة « الشقيقات الثلاث »

استعرضت في رأسي البارحة شريطا ذا ألوان
من ذكريات الماضي . أما الألوان فكانت خضرة
داكنة لأشجار الزيزفون والكستناء المحيطة بذلك
الوكر الجميل المسمى « أورياج » ، ألفته يد الطبيعة في
بطن واد سحيق من وديان « الألب » ، ليذكر
البشر بالفردوس المفقود .

ولقد هبطت هذه اللجنة في شهر أغسطس عام ١٩٣٨
أحمل حقيبة واحدة ، فيها « بذلة » واحدة وكتاب
واحد : هو « العقد الفريد » بكامل أجزائه .
ولم تكن الحقيبة تتسع لغير هذا الثوب وهذا
الكتاب ، ولم يكن شيء أبغض إلى نفسي في
الأسفار من كثرة الحقائق ، فطال ترددي وأنا
أجهز للسفر : أأحمل « بذلة » أخرى وأترك « ابن
عبدربه » ؟ واستقر عزمي آخر الأمر على إشار
« الزميل » أعبر به البحار والجبال ، وأصطحبه إلى
بلاد لم تطأها قدمه ، وأريه مناظر لم ترها عينه ؛
فلأديب على الأديب حق ، وليس من الوفاء
حرمان ابن عبدربه مثل هذه الزهدة . فنبذت الثياب
وأخذت الأديب ، وانطلقنا

بلغنا جنة «أورياج» ، ونزلنا فندق «الروض»
وهو بناء جميل أقيم على بساط من العشب ، قد
اضطجعت عليه حور من الفرنسيات يتحدثن في ظل
الأغصان المدلاة إلى ولدان وفتيان ، أو يصغين إلى
أنغام موسيقى يحملها النسيم ، تعزفها فرقة في شبه
ميدان وسط المصيف .

وكانت مائدة طعامي بالفندق في طرف ناء ،
فلقد احتل من نزل قبلي الأفاريز المشرفة على المناظر
الرائعة ، ولكنني لم أحرم مع ذلك منظر مائدة إلى
جوارى جالس إليها فتى وفتاة ، قيل لي إنها تزوجا
حديثا .

لقد كانا زهرتين ناضرتين في باقة «فندق

الروض . وكنت أنا دائماً وحدي ، ليس معي من رفيق غير « ابن عبد ربه » وقد وضعته أمامي فوق المائدة إلى جانب زجاجة « الفيشي » .

نعم ، لم يكن يخطر لي على بال أن هذا الأديب يلازمني على هذا النحو في كل مكان . لقد اعتدت ملازمته كما اعتدت من قبل ملازمة عصاي .

فأنا لا أخرج من الفندق في الصباح ، ولا أعود في المساء ، ولا أذهب إلى قهوة ولا إلى ملهى إلا ومعى « ابن عبد ربه » . حقيقة أن في جوف هذا الأديب كثيراً من طلي الحديث ، وهو خير أنيس وجليس في مثل وحدتي وعزليتي .

ولكن ... أما كتب لي أن أظفر بجليس أجمل منه سحنة وأعذب منه صوتاً ؟ لقد كنت

أتأمل من طرف خفي هذين الزوجين السعيدين ،
فيخيل إلى أنى أرى منها أشياء . إنها لا يتحادثان
كثيرا ، وكل منهما يأكل وهو مطرق ، ولقد
لاحظت أن الزوج ما يكاد يفرغ من أمر طعامه حتى
يترك امرأته ويختفي اختفاء لا يظهر بعدها إلا على
مائدة الوجبة التالية . وكان الذى يشغل فكرى وقتئذ
البحث عن «قهوة» هادئة أجعلها مقراً لى وللاديب
الذى معى وللورق الذى فى جيبى . فأنانا لا مطمع لى
فى رياضة شاقة كتسلق الجبال ، ولا رياضة هادئة
كلعب «التنيس» . وليس فى الناحية جدول قريب
أصطاد منه السمك ، وهى رياضتى الوحيدة التى
أحذقها . أستغفر الله ! . . (أخشى أن يسمع
طه حسين كلمة «أحذقها» وهو الشاهد العدل

على مبلغ حذق إياها ! (١) . وعثرت آخر الأمر عند
 أقدام أشجار بالسقة قد تهذلت أغصانها كجدائل
 الشعر الكثيف ، على « قهوة » صغيرة في شبه كوخ
 من خشب نثرت حوله المقاعد والموائد . فقلت في
 نفسي : ها هنا مكاني . فالتحذت مقعداً فوق العشب ،
 والتفتت أطلب الساقى يحضر إلى فنجانا من الشاي .
 فاذا أنا أمام ساقية كالبدري . وإذا أخرى على باب
 الكوخ كالشمس . وإذا نالثة وهي الصغرى تخطر في
 خفة الغزال بين الموائد ، نائرة قطرات اللطف
 والظرف ، في صورة ابتسامات ساحرات ، ذات
 اليمين وذات الشمال ، إذا قلت إني في حياتي لم أر
 أظرف من هذه الفتاة ما كذبت ، وإذا أقسمت أن
 هذه الفتاة ما خلقت إلا لتتلقى نظرات الإعجاب من

(١) راجع كتاب « القصر المسحور » .

الناس لما حنثت . الدليل تلك الأعين التي ترمقها من
كل جانب ، وتلك الأفواه التي تناديها من كل مائدة .
كان اسمها « فرانسواز » .

وفرغت من دهشى قليلا فأجلست ابن عبد ربه
على مقعد خال بجوارى ، وأردت أن أشير إلى الفتاة
لأطلب فنجان الشاي ، وإذا غيرى يسبقني :
— فرانسواز ! كأساً من البيرة .

فانتظرت لحظة . ثم هممت بئدائها . وإذا
صوت آخر :

— فرانسواز ! كوباً من شراب البرتقال !
فسكت مرغمًا . ثم عاودني الأمل فرفعت
رأسي إليها وإذا صيحة :

— فرانسواز ! فرانسواز !

فالتفت فاذا ذلك الزوج الشاب الذى بهجر
 زوجته فى الفندق بعد كل طعام ، قد جاء فى شبه
 ركض وجلس إلى مائدة قرب مكان الفتاة ، وطفق
 يحدثها حديثاً ازدحم به فمه ، وهى تضحك أحياناً
 ضحكا رقيقاً يتمايل له غصنها الرشيق ، وأشرقت
 السعادة فى وجه الشاب . وإذا صفاءؤه قد عكسه
 صوت فتيان آتين بملابس « التنيس » يصيحون
 قبل أن يجلسوا :

— فرانسواز ! فرانسواز !

فالتفتت إليهم الفتاة وابتسمت ، ثم استأذنت
 محدثها وانطلقت إليهم . فاستقبلوها فى شبه هتاف
 وظلوا لحظة يتضاحكون . هؤلاء فيما يخيل إلى
 فتيان من طلبة الجامعات ، فان هذرهم وضجيجهم وما

يبدو من سنهم ينم عن ذلك . وكان أكبرهم سنًا فتى
معتدل القامة جميل المنظر في سروال « التنيس »
الأبيض وقيصره الخفيف وسواعده العارية . وكان
هو أكبرهم اهتمامًا بأمر الفتاة . طفقت أنظر إلى
كل هذا ، وذكرت أن ذقتي لم يخلق منذ ثلاثة أيام ،
وتلك أيضًا عادة من عاداتي ، فأنا لا أفكر في ذقتي
وهندامى إلا مصادفة . ثم ذكرت قلنسوتي « البيرية »
التي تهبط إلى أذني كأنها « لبدة » وعصاي الغليظة
وكتابي الضخم بغلافه السميك القديم ، كأنه سفر
من أسفار السحر والتنجيم . فأدركت أن منظري لن
يؤهلني إلى طلب فنجان الشاي في هذه القهوة !
أنهض إلى غيرها ؟ هذا مستحيل . إن هذا الجو
الشعري الجميل الذي يكتنف هذه القهوة هو في ذاته

متعة دونها كل متعة . وطال جلوسى ، وطالت
مشاهدتى ، ومر الوقت سريعاً دون أن أشعر به ، وقام
أناس ، وقعد أناس ، وأنا فى مكانى لا يشعربى أحد ،
ولا أطلب شيئاً إلى أحد . لقد خجلت أن أسترعى
التفات الشقيقات الثلاث ما دامت أنظارهن لا تريد
أن تقع على مثلى ! وجعلت أسائل نفسى فى نبرة
مريرة ، وروح كسيرة :

— ماذا يمنعنى من أن أعيش كما يعيش هؤلاء ،
الأحياء ؟ ما أحسبنى قد بلغت سن اليأس ، وأنا
الآن بالمصيف فى شهر راحة . ما يمنعنى من حلق
ذقنى كل صباح وترتيب شعرى وتعريضه للشمس
والهواء ، وارتداء مثل هذا السروال الأبيض الجميل
والقميص ذى السواعد العارية ؟ لم أتلق جواباً عن

سؤالى . ولكن نظرة منى وقعت على صديقى « ابن
عبد ربه » الموضوع إلى جانبي أدركت معها فى الحال
من المسئول عن كل ما صرت إليه !

نعم ، والأسفاه ، نعم . ووددت لو أنقض عليه
فأقطعه تقطيعاً وأمزقه تمزيقاً . ولكنى اكتفيت
بحمله بين يدى فى سخط شديد ، كمن يحمل كتابه
الذى سطرت فيه لعنته وقدره المحتوم .

وعند ذلك حانت من الفتاة التفاتة إلى ، وفطنيت
إلى وجودى ، فأسرعت إلى تقول فى ابتسام
واعتذار :

- نسيته يا سيدى .

فأجبتها فى ابتسام وتسامح :

- لا بأس ، إنك على كل حال لم تنسى شيئاً

ذا خطر .

وأحضرت إلى ما طلبت . ولم نتبادل كلاما
أكثر من ذلك . ولكنني سعدت به . فنحن معشر
الأدباء المساكين نرضى بالقليل . ويكفي لاسعادنا
والهامنا أتفه الأشياء .

كثير اختلاف في إلى هذه القهوة . وكنت في كل
مرة أرى عين الأشخاص يلعبون عين الأ دوار .
فالطالب في لباس «التنيس» ينادى «فرانسواز»
في كل لحظة ، ولا يشبع من الحديث معها ، ولا
يضمن بطاب مشروب بعد مشروب ، استبقاء للساقية
الجميلة إلى جواره . ولقد سمعته ذات مرة وقد انفلتت
من فمه هذه الكلمة :

- أوه ! لقد خربت وأفلست ، وأضعت كل

نقودي في هذه القهوة !

ويلبث في سروره وضحكه وهذره ساعة ثم يمضي

إلى ملعبه ، مطوحا «بضربه» في الهواء فرحاً سعيداً .

ويأتى الزوج الشاب ، وقد ترك زوجته في

الفندق وحيدة متدمرة تعسة مرتابة . فينادى :

« فرانسواز » . ويطلب السعادة هو أيضاً ساعة في

عينيه الباسمتين غير مبال بخاطر فقد زوجته في هذا

السبيل .

تأملت كل هذا لحظة ثم قات لنفسي :

- هذان شابان جميلان . ومع ذلك فقد أضاعا

شيئاً في سبيل لحظة هناء إلى جوار هذه الفتاة .

ماذا أعطى أنا من أجل لحظة تحادثني فيها هذه

الفتاة ؟ نعم ، هنا كل سعادتي ومطعمي : أن أسترعى
اهتمامها لحظة وأن تقبل عليّ تحادثني حديث
المشغوف بمحادثتي !

لكن .. هل هذا ممكن الحدوث وقد ابتليت
بصحبة هذا الزميل المنحوس ؟ وانكبت على ورق
الذي كنت قد نشرته . وفتحت صدر ابن عبد ربه
أمامي ووضعت فيه همي . وكأن القدر شاء مداعبتى أو
أراد متعمداً أن يكشف لى قليلاً عن جوهر نفسى
المحجوب عن عيني ، فأحدث المعجزة . وإذا الفتاة
تدنو منى مبتسمة متعجبة وتقف لحظة ترمق سطور
ابن عبد ربه وهى صامته ، وفطنت إلى قربها ،
فاضطرب قلبى ورفعت رأسى ، فابتدرتني قائلة فى
همس :

- أهذه كتابة صينية ؟]

فضحكت وقلت :

- بل عربية .

- ما أعجبها ! أتستطيع أن تقرأ هذا النبط

في سهولة ؟

- بالطبع . وأكتبه أيضاً .

- وتكتبه ؟

- نعم . انظري . .

ومضيت أكتب أمامها . وهي دهشة

مسرورة .] وجعلت تستفسرني كثيراً من معاني

الكتاب وقاطعها النداء من كل جانب ؛ فكانت

تذهب لتلي ثم تعود إلى تحادثني معتبلة ، وقد

تطرق الحديث إلى مواضيع كثيرة . وقد أدركت

من حديثي أن الكتابة صناعتي ، فأقبلت تعرض عليّ
ألواناً من حياتها تصلح قصصاً . وبدا عليّ السرور
أول الأمر ، وبدأت أحترم ابن عبد ربه ، فبفضله تم
كل هذا ، ولكن ما كدت أتردد على القهوة مرة
أخرى وتقبل عليّ الفتاة تحادثني ذلك الحديث
الطويل في مختلف الشئون ، حتى أحسست أن كل
شيء قد تغير في نفسي ، فالأشجار ليست الأشجار ،
والجنة ليست الجنة ، ووجهها لم يعد فيه السحر القديم ،
والجو الشعري قد ارتفع عن القهوة . ذهب السحر
وتهكت أستار الأسرار . وما أنا والفتاة الآن إلا
صديقان ثرثاران !

وشعرت عندئذ أن لا شيء عاد يربطني بالقهوة
ووددت لو أتركها إلى غيرها حتى أفرغ للعمل ، وأتم

الفصول الأولى التي بدأتها مدفوعاً بتلك القوة الهائلة
من لحظة سعادة خفيفة مرت . عند ذلك فهمت أن
السعادة التي تلزم لنا نحن الفنانين ، لنقوم بالأعمال
الكبار ينبغي أن تكون بمقدار !! مقدار صغير ثمين
مثل « الراديو » . فإذا انغمرنا في حوض من هذه
المادة السحرية فإنها تنقلب في نظرنا ماء قراحاً لا
فعل له ولا أثر .
وتأبطت « ابن عبد ربه » أخيراً ، وانصرفت
به وقد ... انتصر !

روميوجولييت

عند الفردوسي

عاش هذان الاسمان الجميلان : « روميو
وجولييت » أجيالا بعد أجيال يلتقيان في الأذهان
أبرز صورة للحب الجميل العنيف . وقد ينسى الناس
كثيراً من التفاصيل في قصة « شكسبير » . وقد لا
تعي ذاكرتهم أغلب المواقف . ولكن هنالك
شيئين لا ينساها الناس : الأول أن هذا الحب نشأ

بين زهرتي يبتين فرقت بينهما العداوة المتأصلة
والأحقاد الدفينة، فكان على الحب وحده أن يجاهد جهاد
المستमित على شفا تلك الهوة الملتهبة التي تفصل
بين قلبين رقيقين لم يخلقا للبغضاء، وإنما خلقا ليتآلفا
ويبتسما وينشرا على الأرض الصفاء : والثاني : تلك
الليلة العجيبة الخالدة في تاريخ الغرام البشرى ، ليلة
اللقاء في الشرفة ، ليلة أن تسلق العاشق الجميل شرفة
معشوقته الجميلة ، ليختلس من القدر القاسى لحظة
هنا . تلك الليلة الذهبية التي تواطأ فيها القمر مع
النجوم بمعاونة الأشجار والنسيم ، على إحاطة
العاشقين باطار بهيج من أضواء وهمسات وتهديدات ،
هى خير ما تقدمه الطبيعة من هدية إلى محبين فى
ساعة النجوى واللقاء .

إذا رجعنا إلى شاهنامه الفردوسى ، وقرأنا فيها
 قصة « دستان وروذابة » وهى سابقة على قصة
 « روميو وجوليت » بنحو خمسة قرون ، لوجدنا
 هذين الموقفين بالذات . ولندع الفردوسى يتم كلم
 بلسان مترجمه « البندارى » . . قال :

« فلما جن الليل جاء دستان ووقف عند أصل
 القصر . وأشرفت عليه روذابة من بعض شرفاته .
 فسدت « شعورها » ، وأشارت إليه أن يتعلق بها
 ويصعد . فامتنع « دستان » من ذلك « ولثم » تلك
 الضفائر المسكة ، وعلق « رمح » بالحائط وصعد فى
 أسرع من رجع الطرف . فاجتمعت الشمس والقمر .
 وطال بينهما الحديث والسمر ، وبأنا يتشاكيان حر
 الاشتياق ، ويتفاوضان ذكر الفراق فى مجلس فرش

قصة
 دستان
 وروذابة

بالديباج والحرير ، ونضد بالمسك والعبير . فلما نفحت
 نسائم السحر ، وتشعشت تباشير الصبح ، وغردت
 سواجم الأطيّار في عذبات الغصون والأشجار ،
 قام دستان فودعها ، فتعانقا وتحالفا على ألا يقرب
 كل واحد منهما غير صـاحبه حتى يجمع الله بينهما
 « بالزواج » .

فافترقا على ذلك . وجاء دستان إلى مخيمه . فلما
 طلعت الشمس جمع الوزراء والأمرء وشاورهم ،
 وأعلمهم بأنه يريد أن يتزوج بروذابة الجميلة ابنة
 « مهرب » . فصاحوا :

— ابنة مهرب ، وهو من أولاد الملك
 « الضحاك » وأنت دستان بن سام ، سليل الملك

منو جهر ؟ !

- وماذا في ذلك ؟

- لا يخفى عليك ما بين البيتين من العداوة
والشحناء . ولا يرضى أبوك سام ولا الملك منوجهر ،
بأن يجري بينكما امتزاج واتشاج . وإن سمعا بميلك
هذا احتدما غيظاً ، وصعب استرضاؤهما ، وتعذر
استعطافهما .

فلما سمع دستان ذلك أطرق محزوناً مكتئباً .
ثم أقبل عليهم وقال :

- لا بد من إعمال الفكر في ذلك ...
فأشاروا عليه آخر الأمر بأن يكتب إلى أبيه
ويتضرع إليه ، ويعرض عليه ما بلى به من العشق ،
فلعله يرق قلبه ويتشفع إلى الملك .
فاستصوب الرأي . وأحضر الكاتب وأمره

أن يبعث إلى أبيه برسالة يفصل فيها الأمر . فلما
وصل الرسول بالكتاب إلى أبيه ، وفض الأب
ختمه وقرأه أخذه الوجوم وتناوشته الهموم ،
ورأى أن ما خامر قلب ابنه من حب روثابة أمر لا
يرتضيه الملك منو جهر . فأحضر المنجمين والحكماء ،
وشاورهم فيما هجس في ضمير ولده ، فأخبروه أن الله
أجرى قلم التقدير في اللوح المحفوظ باقتران السعدين
 واجتماع النيرين بتواصل البيتين ، وأنه يولد بينهما ولد
يملاً الدنيا مهابة وقهراً ، وشهامة ونفراً . فتمشت
نشوة الفرح في رأس سام ، فدعا برسول ولده
دستان ، وأمره بالرجوع إليه يبشره بقبوله السعى
في قضاء حاجته وإنجاح مطلبه . ونهض سام من
فوره لاستئذان الملك في إنشاء هذه المصاهرة .

وبلغت مسامع الملك منو جهر أن ابن سام يريد
الاتصال بينت مهراب ، وأن سام موافق على ذلك ،
ناهض إلى حضرته لاستئذانه ، فاحتدم غيظا
واستشاط غضبا . وجمع وزراءه وقواده وفلاضهم في
ذلك وهو يقول :

— أخاف أن يكون تحت هذا الرماد جمر يشور
منه دخان ، إذا حصل تزواج بين ابن سام وبنت
مهراب ، وهي شعبة من الدوحة الضحاكية . والحزم
ألا يفتح لهما طريق إلى هذا . وألا يمكن سام من
السؤال في ذلك المعنى .

وقدم سام فاستقبله الملك على العادة المعهودة ،
وتلقاه بالاعظام والاكرام . وما كاد سام يفتح فاه
ليستأذن الملك في الاتصال بينت مهراب ، حتى

أسرع الملك قائلًا له :

- إنا تدبرنا في أمر مهرباب ، وأنه شعبية من
تلك الجرثومة الخبيثة ، ولا بد من قلعها واستئصالها .
وقد اقتضت آراؤنا أن تنهض أنت لكفاية أمره
واستصفاء مملكته ، واستضافتها إلى ما في يدك من
ممالك الهند !

فلما رأى سام أن الملك قد سد عليه طريق
ملتزمه كف لسان سؤاله ، وسارع إلى الانقياد .
فقبل الأرض وخرج متوجهًا نحو ممالك الهند .
وتناهى الخبر بذلك إلى دستان ومهرباب .
فقامت القيامة على مهرباب وأصحابه ، ويأسوا من
الحياة . وضاعت الأرض على دستان ، لأنه كان
السبب في إيقاد نار الفتنة ، وتوقد من الغيظ متنمرًا

كالثعبان الصائل . وصاح :

- إن مهراب نسيبي ، وهو معتضد بقوة بأسى
وشدة مراسى ، ولا يقدر العقاب أن يطير على ساحة
مملكته ، ما دام هذا الرأس على جسدى ، واستقر
هذا الصمصام فى يدى !

ثم جاء الخبر بمقدم أييه نخرج لاستقباله . وما
خلا أحدهما إلى الآخر ، حتى أخذ دستان يبت إليه
شكواه ويذكره بمعاهدته إياه على موالاته فيما يطالب ،
إلى أن قال له فى زفرة الموضع :

- لكأنك الآن يا أبى لم تقدم إلا على ما يوغر
صدرى وبوحش قابى ويفجع بروحى شخصى ، لما
أنت عليه مصمم من محاربة مهراب وتخریب دياره
وانتهاب خزائنه . فان كان الأمر هكذا ، فهأنا ذا

واقف بين يديك مسلم زمام قيادي إليك . نخذ رأسي
أولاً ثم خض في محاربة مهرباب بعد ذلك !
فرق عندئذ قلب الوالد . وطفق يفكر في وسيلة
تخرجه من هذا الموقف . فأطرق ملياً ، ثم رفع
رأسه وقال :

— ليس أمامي غير طريق واحد : أن أنفذك
يا بني إلى خدمة الملك ، واكتب إليه كتاباً استعطفه
واسأله الانعام عليك بما يفضي إلى إنجاح مآربك
وقضاء حوائجك .

وجاء الخبر إلى الملك منوجهر بوصول دستان
فاستقبله أعيان القواد وأمرأء الأجناد . ولما قرب
من السرادق رفعت دونه الستور حتى دخل . فلما

وقعت عينه على الملك قبل الأرض ووضع جبهته على
التراب وبقي كذلك ساعة ، فأشار الملك إلى من رفع
رأسه من الأرض وقربه إلى التخت ، فلاطفه في
في خطابه وسأله عن حاله وما تحمله من وعشاء السفر
في حاله وترحاله فقال دستان : كل تعب يفضى إلى
لقائك فهو راحة وسرور ، وكل غناء يقع في الطريق
إليك فهو مسرة وحبور .

ولبت دستان أياماً في قصر الملك وقد سر به
الملك وقربه إليه وأنزله من نفسه منزلة رفيعة . وقرأ
الكتاب الذي جاء به . فتفكر في الأمر . وطلب
العلماء والحكماء ومن تبجر من المنجمين وأمرهم
بالبحث في طالع دستان ، وعما يؤول إليه حاله في
هذه المصاهرة . فلبثوا ثلاثة أيام يعملون دقائق النظر

وثواقب الفكر في تطلب علم ما وارتد ستور الغيب .

ثم جاءوا إلى باب منوجهر وقالوا :

- أيها الملك : إنه قد ظهر لنا أن سيولد بين

ابن سام وبنت مهرباب ولد كبير القدر ، رحب

الصدر ، يشد وسطه في هذه الممالك لخدمة الأملاك

ويرفع قواعد المجد على ذرى الأفلاك !

فلما سمع الملك ذلك فرح وأمر باحضار دستان

فبشره وأثنى عليه وخلع عليه خلعة تليق بثله ، وأمر

أن يكتب إلى سام بأن الملك قد فر عيناً بطلمة

دستان وانشرح صدره بمحاسن آدابه ، وأنه تقدم

بإنجاح مطالبه وقضاء مآربه .

وانصرف دستان من حضرة الملك منوجهر

كالطير في الهواء ، فلم يشعر به أحد حتى طلع على
أبيه ، فوثب إليه وعانقه . ثم أعدا العدة للنهوض إلى
لقاء مهرباب ، فقد آن الأوان لاجتماع القمرين واقتران
السعدين . فركبا حتى انتهيا إلى كابل فرأيا الأرض
تظن بحقق الطبول ونقرات السرور . واستقبلهما
أهل البلد راكبين ، قد ضمخوا أعراف الخيول بالمسك
والعنبر . وخرج مهرباب لاستقبالهما ، وأمر بشد
الكوسات والطبول على مناكب الفيول ، وركوب
العساكر في موشعات الملابس ، ونشر عذبات
الرايات والأعلام ، وخروج القيان والمغانى بالمزاهر
والمعازف .

وسار دستان في هذا الجمع كالهلال ليلة العيد
يشار إليه بالأصابع ويرمى نحوه بالنواظر ، حتى انتهوا

إلى القصر فنزلوا ورفعوا دونهم الأستار ودخلوا
الايوان المذهب والمجاس المنجد .

فقال سام :

— ألم يأن أن تقر أخطائنا بالخريدة النادرة
والعقيلة الرائعة ؟

فرفع الستر . وإذا هو يرى روضة فوق المنصة
متجلية كالشمس البازغة . فبهت لرونق جمالها .
وطلب مهرباً فتقدم وعقدوا العقد . ثم أخذوا بيد
دستان وأقعدوه إلى جانب صاحبتة ، ونثروا على
سريرهما المنجد أطباق الياقوت والزرجد . وكانت
تلك الليلة من الليالي الزهر ومن حسنات الدهر :
فيا ليلة فيها السماء تبرجت

سروراً كخود فرعها فاحم جمل

وقد جلت الأكليل جبهتها لنا
 بكف خضيب والهلال لها حجل
 وقد أشعلت زهر النجوم أمامها
 مشاعل منها أشرق التل والسهل
 زفاف به السعدان في فلك العلى ✓
 قد اجتمعا ، لا فض بينهما الشمل

الخاتم السحري

البارحة تحت مصباحي الأخضر فتحت كتاباً
وردت فيه هذه الأسطورة من أساطير الشرق
القديمة :

« ... في سالف الأزمان عاش رجل ألقى
إليه السماء بخاتم نادر الوجود ، خاتم من حجر كريم
تنبثق منه أشعة عجيبة مختلفة الألوان ، خاتم سحري

(١) Decameron

من حملة وآمن به فقد رضى عنه الله ورضيت عنه
الناس . فحرص عليه الرجل ووضعه في أصبعه لا
ينزعه منها قط . ورأى أن يحفظه في بيته يتوارثه خير
الخلف عن خير السلف . فأوصى أن يؤول هذا
الخاتم من بعده لأحب أولاده إليه ، وأمر أن يورثه
هذا الولد لأعز أبنائه عليه . دون أن يكون للسن
فضل ولا للأكبر من الأبناء حق . وأن يعطى
الخاتم الأحب من الأولاد دائما ، ويكفل لمن حازه
حق زعامة البيت .

وسارت الأحوال على هذا المنوال أجيالا بعد
أجيال ، وانتقل الخاتم من ابن إلى ابن ، حتى وقع آخر
الأمر في يد رجل له ثلاثة أبناء كلهم حبيب إلى قلبه
عين الحب ، وكلهم قد أنزله من نفسه عين المنزل .

وكان كلما خلا إلى أخدم في غيبة صاحبه خيل إليه أنه
أفضلهم عنده . فحمله الضعف على أن همس في أذن
كل من الثلاثة على انفراد بأن الخاتم له دون سواه .
وحضرته المنية آخر الأمر ، فوقع في حيرة ، وفكر
طويلاً وتأمل كثيراً ، ماذا يصنع ؟ وهدته السماء إلى
فكرة سطعت كالنور الإلهي . فاستدعى سرّاً صائغاً
من مهرة الصياغ ، وأمره أن يصنع له خاتمين على
مثال خاتمه . وأوصاه أن لا يدخر مالا ولا جهداً في
سبيل إتقان التقليد . وصدع الصائغ بالأمر ، ومضى
بالخاتم وغبر ملياً ثم عاد بالخواتم الثلاثة فوضعها أمام
الأب . فنظر إليها الأب فأخذه العجب : إنه لم يستطع
أن يخرج الأصيل من الدخيل . ولم يعد يميز الصادق
من الزائف . ففرح وطلب أولاده .

واجتمع بكل واحد منهم منفرداً وأعطاه الخاتم ،
ودعا له بالبركة . ثم أسلم الروح ... ووارى الأبناء أباهم
في التراب . وما كادوا يفرغون من أمره حتى أبرز
كل خاتمه ، وادعى انه صاحب الحق في زعامة البيت .
ووقع بينهم الخلاف ، ودب الشجار وتفاسقم النزاع .
والكل شديد الاقتناع أن خاتمه هو الصحيح ،
ولكن من ذا يستطيع تمييز الصحيح من الباطل ؟
وذهب الجميع إلى القاضي ، وهناك صاح كل من
الأبناء طالبا الحكم له . وأقسم أنه قد تسلم الخاتم من
يد ذلك الوالد الكريم . وأنه هو دون أخويه حامل
الخاتم الصحيح .

فخار القاضي ، ولم يدر ماذا يصنع ، ولا كيف
يقضى في هذا الأمر العسير ، فصاح :

— أحضروا أمامي أباكم أسأله .

فقالوا :

— إنه ميت في التراب كيف نستطيع إحضاره ؟

فقال القاضي :

— وأنا كيف أستطيع أن أحكم بينكم ؟

أتحسبونني قديرا على حلّ الألفاز ؟ أم تظنون أن
في مقدوري استنطاق الخاتم الحقيقي من بين الثلاثة ؟!

وأطرق القاضي قليلا ثم رفع رأسه فجأة وقال :

— لكن اسمعوا . ألم يقل قائل إن الخاتم الحقيقي

له فعل سحري يكفل لمن حمله رضا الله والناس ؟ ها

هنا مفتاح القضية ، فالخواتم الكاذبة لن يكون لها

مثل هذا الأثر . فمن منكم قد امتاز عن الآخرين

برضا الله والناس ؟! هلموا . تكلموا ... انطقوا ...

ما بالكم قد خرستم ! يظهر أنكم أنتم الثلاثة خادعون
مخدوعون ، وأن خواتمكم الثلاثة كلها زائفة . وأن
الخاتم الحقيقي قد فقد . فاذا أردتم مني نصيحة أسديها
إليكم بدل الحكم بينكم ، فاني أقول لكم : « خذوا
الأُمور على وضعها القائم ، وليعتقد كل منكم أن خاتمه
هو الصحيح ، وليجهد في إظهار فعله السحري .
وذلك لن يكون إلا بالعمل على إرضاء الله والناس .
فاذا مضى كل منكم في هذا السبيل ونافس كل منكم الآخر
في اكتساب رضا الله والناس ، بالخلق الطيب والعدالة
السامية والنزاهة الطاهرة والمحبة الفياضة والتسامح
الكريم والسلوك القويم والأعمال الصالحة التي تغمر
الناس أجمعين بالخير العميم ، إذا فعل كل منكم هذا
وغرس بذوره في نفوس تابعيه وذويه ، وشعر أن

خاتمه قد أحدث الأثر المسحور ، فليتقدم إلى هذه
المحكمة فإن كنت بعد على قيد الحياة حكمت وإلا
وجدتم غيرى فى مكانى أكثر منى حكمة وأغزر علماً
يتولى النطق بالحكم »

فرغت من قراءة هذه الأسطورة وأنا أقول
فى نفسى : ما أعمقها حكمة توضع تحت أنظار أحزاب
متطاحنة . وما أحوج الأمم إلى قاض يسدى مثل هذه
النصيحة لجملة مثل هذه الخواتم ، ويعلن اليهم فى صراحة
أن اتهامات التزييف التى يلقى بها أحدكم فى وجه الآخرين
هى لغو من الكلام . فكل خاتم يحمل جوهره
الحقيقى السحري فى العمل الذى يرضى الله والناس .
ها هنا ميدان التنافس الحقيقى الذى ينبغى أن تعرض
نتائجه على محكمة الراى العام .

شهرزاد و مونتارتر

— أنت تعرف عادتي ورغبتى يا جان : حساء

البصل « سوب ألونيون » ونبيذاً أبيض !

— وقلماً وورقاً ؟

— القلم والورق معى .

فأحضر الساقى خرقه جعل يمسح بها خواناً

أمامى من الخشب ، نقش عليه بمطواة بعض العابثين

صورة امرأة عارية تتمطى كعاريات « موديجلياني »
ثم نظر إلى وابتسم :
- أما زلت تكتب الشعر على طريقة ما كس
جاكوب ؟ !

قالها في صوت غامض غريب . فصحت به
للفور :

- قلت لك يا جان ذاك عهد مضى . عهد
مونبارناس وقهوة « الدوم » . أما الآن وأنا أختم
عام ١٩٢٥ في مونمارتر فانا إنسان آخر أصنع شيئاً
آخر .

- تضع «شهرزاد» . هل فرغت منها ؟
- أوشكت أن أنتهى من طور التفكير .
ولا ينقصنى للبدء فى التنفيذ غير موسيقى من طراز

« سترافنسكى » . لقد عرفت هنا موسيقياً مجرباً
من نوعه . وأضر قلباً منه . قد ينفعنى . لكن المعضلة
ليست هنا . . .

وأمسكت عن الكلام . إذ مثل لفكرى فجأة
ختام « شهرزاد » الذى حرت فى تصويره منذ أيام .
ورأى جان شرود ذهنى فأنصرف عنى تأدباً وتناول
قبعتى « الفنية » السوداء ومعطفى الطويل الأسود
يقطران بماء المطر فعلقهما على مشجب بجوار النار
وعاد يقول :

— أتعرف جورج أوريك ؟ كان يجلس إلى
هذا الخوان . أما الآن فهو موسيقى معروف . أنت
كذلك من يدرى مصيرك غداً ؟
فضحكت على الرغم منى :

- أشكرك يا جان . مصيري مظلم . لو عرفت الحقيقة . حتى مونتارتر بكل أسرارها وسحرها لم تستطع شيئاً معي . إنها جعلتني أفكر وأبحث كما ترى . لكن ما النتيجة ؟ إن جورج أوريك قد وصل لأنه بنى على ماض قريب . أما أنا فليس لي ماض قريب . أمانى أن أنفذ إذن إلى ذلك الماضى السحيق الذى كادت تدرس معالمة تحت رمال الزمن . . .

فهز جان رأسه . ثم رفع يده إلى لفافة تبغ يحملها فوق أذنه اليسرى فأشعلها وطفق يدخن . ثم تناول مكنسة وأخذ يكنس القهوة استقبالا للصباح الذى يبرز عما قليل . ولم يكن بالمسكان وقتئذ غيرى وغير رجائين من اللصوص أو الطفام أو الفنانين العظام !!! كانا واقفين أمام « بار » الزنك

يشربان قهوة سوداء ويأكلان خبزاً صغيراً . وفي أحد
الاركان امرأة من مومسات الحى أو بنات الهوى
المتجولات المختلفات إلى ذلك المكان ممن كنت
أسميهم « ققط المحل » جالسة في هيئة من
الكلال وسوء الحال تستشير الاشفاق . وهى بين أن
وآن تتأمل وجهها الباهت تحت الطلاء فى مرآة
بالحائط كتب عليها بحروف من الجير : « قهوة
سيرانو » .

أقبل جان بالحساء والنبيد فلم أتحرك ولم أكف
عن التأمل . فنظر إلى الخادم قليلاً ثم قال :
- أرى الوحى لا ينزل عليك إلا آخر الليل !
- صدقت يا جان . هو لا ينزل إلا بنزول
عربات الرش تدوى بها الشوارع الهادئة وأصوات

قطرات الخضر المبكرة توقف مخلوقات الله الوادعة !
 فضحك الرجل . وطويت ورقى والقيمت بقلمى
 ودستت ملعقتى فى الحساء ورفعتها وقد علقت بها
 خيوط الجبن الممزوج بالنصل والتهمت ثم التفت إلى
 الخادم :

— أتدرى أين كنت الليلة يا جان ؟
 فأجاب جان من فوره فى صوت العارف
 الواصل :

— فى حانة « الأرنب الخفيف »
 — كلا . بل كنت هنا . . .
 وأشارت إلى مقصف « الفأر الميت » على مقربة
 من القهوة . ذلك المرقص المشهور الكثير النفقة .
 فبدأ الخبث فى عيني جان وشفتيه وقال فى صوت
 المرتاب :

— وأين لك بالنقود ؟

— سبحان الله يا جان ! أين لي بالنقود ؟ من

تحسبني أيها المخلوق ؟ !

فضحك جان وقال :

— أحسبك رجل فن . وبين الفن والمال

عداوة قديمة ! رلواكب هوليود ؟

فأطرقت في إذعان وتسليم وقلت في تنهد :

— هذا صحيح . ومتى تزول هذه العداوة

القديمة يا جان ؟ ومتى تعقد الهدنة على الأقل ؟ إن

المال حلو يا جان . إن النقود جميلة . إن مظاهر الغنى

والبدخ والانفاق والسعة هناك في « الفأر الميت »

لشيء يحدد الحياة ويطيل العمر ! نعم . كنت هناك

الليلة . اطمئن يا جان : أصدقاء موسرون هم الذين

تفضلوا بدعوتي فلبيت مرغماً . وتكلفوا من أجلى
 خمسمائة من الفرنكات ثمن زجاجتين من الشمبانيا
 الفاخرة . ولا يغيب عن فطنتك يا جان ان هذا مكان
 يؤمه أهل الطبقة العليا . فلا ترى حولك إلا أروية
 السهرة وأقمصة منشاة وأربطة للعنق بيضاء . ولكنى
 أخذت على غرة فلم أستعد للسهرة ودخلت على
 أولئك القوم وأنا على ما ترى من هيئة « نظيفة » !!
 دون أن أحاق ذقنى على الأقل . . . ودون أن أنظم
 حتى شعري المبعثر الأشعث فى سبيل «أبولون» !!
 فنظر إلى الخادم من رأسى إلى أخمص قدمى
 متفحصاً ثم ابتسم لمنظرى وقال :

— وأى بأس ؟ أنت من فصيلة الشعراء ..!

— ماذا تقول ؟

- مباح لكم كل شيء !

- آه له — هذه الحرية التي يحسدونها عليها !

ما قيمتها بغير نقود !

لن أنسى مظاهر النعمة التي رأيتهـا هناك . لن
أنسى أنى جلست كما ترانى الآن بين القوم الأغنياء
وأجلسنا معنا غانيتين « پول دى لوكس » لم تر عيني
أجمل منها صنعاً ! صنعتها أيدى حلاقين مهرة فجرة !
أجل يا جان . صدقنى ! أى تماثيل حية ! أين فيدياس
وبراكسيتيل يشاهدان اليوم أعاجيب صالونات الزينة
ومعاهد الحسن ! لم تعد المرأة وحيّاً وإلهاماً للخلق
الفنى . ولكنها أصبحت هى نفسها قطعة فنية وخلقاً
فنياً . وأصبح الوحى والالهام لصنعها الصور والتماثيل !
وهكذا ثملت قليلاً فيما يبدو لى من الشراب اللذيذ او

من الحسن الكثير فلم أنتبه إلا وأنا بين ذراعى
حسنا أرقص معها على أنغام الجاز رقصة « البلوز »
- كما قيل لى - بين رهط من الراقصين الحاذقين...
وانا لا أعرف الرقص ما هو... وما أحببت يوما
أن أعرفه . وحانت منى التفاتة إلى مرآة الحائط فاذا
على رأسى طرطور احمر مذهب الحواشى . وإذا أنا
ملتف فى حبال من ورق « السربانتان » . فسرت فى
جسدى رعدة واستدرت حولى فاذا الجميع مشى لى
صغير ثم وكبير ثم قد لبسوا الطراير والقلائس والتيجان
من الورق المقوى مختلف الألوان واختلطوا فى
رقص متسلاطم عرييد كرقص عباد « ديونيزوس »
اجل يا جان . كانت ليلة بديعة . انك لا تتصور كيف
يمكن للانسان أن يستمتع بالعيش هنا فى مونتارتر .

وعلى مقربة منك ! إن هذا « الفأر الميت » لمفعم
بالحياة !

صمت جان لحظة . ثم رفع رأسه وهزه ثم قال :
- كلا . كلا يا مسيو « الحكيم » . كلا .
حياتنا نحن في الركن الخفير . قهوة « سيرانو »
وامثالها وحانات « القط الأسود » و « الأرنب
الخفيف » و « ارستيد برويان » و « الجنة » و « الجحيم »
... الخ ... تلك مونتارتر الحقيقية أما « الفأر الميت »
واشباهاه فصايد لاقتناص المال من جيوب الثروة .
تفكرت قليلا في كلامه فوجدته الصواب
فصحت :

- برافو يا جان . مرحى والى مرة مرحى .
هذا كلام عميق ما تقوله الآن . هذا حق . أتعلم

لماذا تركت أنا مونتارناس وجئت أعيش في مونتارتر ؟
أحسست بما تقول أنت الآن : إن روح التجارة
وقنص المال تكاد تعم مونتارناس الذي ينافس حيناً
هذا حتى ليكاد يقتله . شعرت أن مونتارناس ليس
إلا حي السامحين من جميع الأجناس . وحيث يظهر
السامحون يظهر البذخ والكذب والادعاء . نعوت
ثلاثة يهرب منها الفن هرباً . وأحسست من ساعتى
ان مونتارتر في انحاءها الساقطة الفقيرة ما تزال مرتع
الفن الخصب والفكر الحر . نعم . لكم تفتعش
نفسى إذا جوس خلال هذه الجهة : شارع
« روششوار » ... شارع « بلانش » ... ميدان
« ترتر » . تلك المناطق المتواضعة التى خلدها موريس
اوتريللو فى صورته ولوحاته ...

فقال خادم القهوة سريعاً في إعجاب يلمع في

عينيه :

— اوتريللو ؟ لقد اتى هنا ايضاً وجلس في

هذا الركن وسمعت حديثه . . .

— في هذه القهوة . وای غرابة ؟ . . . انه لا

يستطيع رغم شهرته الآن ان يسلو حياة التشرّد في

مونمارتر . ولا يريد أن يهجر هذا الحي الذي نشأ فيه .

ما أجل هذا الاخلاص ! إنه ولا ريب المحب الامين

الذي لم تبرد عاطفته نحو مونمارتر ! لدى بعض صور

منقولة عن لوحاته . لكن لست أنظر فيها الآن

كثيراً . إني أدّخرها للغد يوم لا أجد عزاء غير

الصور . أما الآن فان مونمارتر تحتويني بذاتها

وحقيقتها ، وتهمس في نفسي بكل شعرها وبكل

موسيقاها الداخلية التي لن يخفت لها صدى ما دمت
أعيش .

وسكنت قليلا إذ بدا على شيء من التأثير .
فسألني جان :

— أتتوى أن تعيش هنا طويلا ؟

— ياليت ...

قلتها من كل قلبي وأنا أرى شبح المصير الذي
ينتظرني .

— أسكت يا جان ! لا تذكرني بالغد . اني
الآن أعيش . حسبي هذا . أعيش في مونتارتر .
فردوس الفن ... الذي سأفقده يوماً . سوف أذكره
مع الحشرات . وأذكر حياتي الشاردة بين قهوة
سيرانو وحانة « الأرنب الخفيف » . وسوف تتمثل

لى كل لحظة تلك الحانة المظلمة بنورها الضئيل
وروادها الجالسين إلى براميل انقلبت موائد ينظرون
الى رسوم على الحيطان وتماثيل كلها ذوق في التصور
ولذع في الفكاهة وغرابة في الأداء ، وينصتون الى
اغاني القرون القديمة وقد بعثت في ثوب جديد من
مغنين وشعراء حديثين موهوبين ، ويشربون «البورتو»
ممزوجاً بالكرز ، ويضحكون من نكات الساقين
الظرفاء مثلك يا جان . تلك النكات الرشيقة المبطنة
بحسن الذوق وعلو الكعب في التخيل والشعر . حانة
ساقوها وخدامها شعراء ومغنون . أليس منهم نبغ
«كاركو» و «دورجايس» ؟! كما نبغت «إيفيت
جيلبير» من قبل ؟

— أتذهب إلى تلك الحانة كل ليلة ؟

- أ كثر الليالى عند ما كنت اقطن بجوارها .
 أما الآن فاني اقطن فى ناحية اخرى من الحى . شأنى
 فى كل شهر . ما احلى التنقل والحرية يا جان ! مسكنى
 اليوم فى شارع « روششوار » . حجرة تحت سقف
 منزل يحتوينى انا وشرذمة من المصورين « الكوبست »
 وافتح نافذتى فأرى قبة كنيسة « سا كرىه كور »
 البيضاء فى متناول يدى كأنها بيضة صورتها ريشة
 « جيور جيودى شيريكو » . شئ واحد يزعجنى فى
 حجرتى الجديدة : المطر الذى يتسلل من خلال
 السقف فأتقيه باناء اضعه فى الفراش على رأسى طول
 الليل ! نعم يا جان . تلك حياتنا كما تقول . لكنى
 احبها مع ذلك ولا اريد سواها . وارى الجمال فيها
 اينما حللت . حتى مقبرة مونتارتر كنت أراها من

نافذة حجرتي السابقة ، قائمة فيها اشجار الكستناء وقد
تدثرت بالجليد ايام «النويل» فكانها ملائكة بيضاء .
ما أبدعه منظرًا يا جان ! لو شاهدته عيناك ...
فرفع الخادم رأسه ثم قال :

— حقًا منظر جميل ! ما للشعراء دائماً من
بضاعة غير الجمال ! أديك سيجارة على الأقل
يا مسيو «حكيم» ؟

— ولا كبريت يا مسيو جان . مع الأسف .
انسيت اني لا ادخن ؟

— حقيقة . حقيقة انت لا تدخن قط مع الأسف
الشديد !

— خمسة اشياء لم افعلها قط في حياتي : شرب
الدخان . ولبس القفاز . وحمل الساعة . وركوب

الدراجة . والعموم !

فضحك الخادم ضحكة كبيرة . وكنت قد
مسحت إناء الحساء مسحاً . ومحوت وجود النبيذ
محوً . فحمل جان الكوب والاناء وابتمد . وارت
ان اعود الى ورق فاذا الساعة تدق منتصف السادسة
واذا النهار يطلع ، وشاهدت من خلال زجاج الباب
بعض العمال والعاملات فى الطريق زرافات ووحداً
تمشى مسرعة الى الترام والمترو ، وفى ايدى الجميع
صحف الصباح . فطلبت الى جان قبعتى ومعطفى
فاحضرهما وهو يقول :

— لماذا تنصرف مبكراً الليلة ؟

— مبكراً ؟

— انك لم تكتب حرفاً .

— لقد أدركنا الصباح يا جان . و «شهرزاد»

تسكت عن الكلام والالهام اذا ادركها الصباح .

فابتسم جان وتأمل لحظة ثم قال :

— انها كمو نمارتر .

فخلقت في وجهه بعيني دهشاً . ولكنه

استطرد يقول :

— مو نمارتر كذلك تسكت عن الكلام والالهام

اذا أدركها الصباح !

فألقيت بقبعتي على الخوان متحمساً وصحت به :

— جان ! واحد من أمرين : إما أنك ذكي

الفؤاد . وإما أنك شاعر بالسليقة . سم نفسك

ما شئت . إنما أنت الآن تقول قولاً صادقاً جميلاً

بدون أن تشعر : إن مو نمارتر هي شهرزاد . وإني

- لو عرفت الحقيقة - ما قننت هذا الحى عبثاً .
 ولسوف تقرأ « شهرزادى » وتتعرف فيها ملامح
 مونمارتر . إن « شهرزاد » فى نظرى لم تكن يوماً
 قصة الخيال والبذخ والخرافة كما فهمها الشاعر
 « كاتول مندیس » فى قصيدته . . . والموسيقى
 « رمسكى كورساكوف » فى قطعه السانفونية
 لكنها عندى قصة الفكرة والحقيقة العليا . قصة
 الروح التى خرجت من المادة . كذلك مونمارتر
 التى اشتهرت بلهوها وانغماسها فى بؤرة المادة ... أى
 روح تخرج منها كل يوم فىاضة بالخلق والابداع !
 مونمارتر هى تلك المرأة اللعوب ذات الروح العميقة
 هى غانية تنام النهار وتسهر الليل تكشف لعشاقها
 محاسن الحياة وأسرار الحياة . هى أيضاً كشهرزاد

تعمر الليل بأقاصيصها وحكاياتها عن الحب والفن حتى
الصباح ، فتسكت عن الكلام المباح وغير المباح !
ولكن شهر زاد قالت ما عندها في ألف ليلة وليلة ،
ثم سكنت سكتة إلا بدلاً أن زوجها وعشيقها شهريار
كان قد أصغى اليها وانبهر مما سمع فزالته عن عينيه
غشاوة الماضي ، وأبصر ما في الحياة وما بعد الحياة
من معان وأسرار ، وأدرك أنه قبل أن يعرف
شهر زاد ما كان إلا طفلاً يلهو ويعبت كل ليلة بـزوجة
يقتلها في الصباح . فاذا هو مع شهر زاد يرى في
الحياة أشياء أخرى غير مجرد اللهو والعبث . إن
شهر زاد مربية شهريار ومثقفته في «ألف ليلة وليلة»
قد صنعت منه رجلاً . ثم صيرته بعد ذلك شيئاً آخر
غير الرجل : ما بعد الرجل . . . مونمارتر كذلك

تدخلها طفلا يلهو فتصير رجلا يشعر ويحس ثم
 تتركها مخلوقا يتأمل ويفكر ... اى تأمل واى تفكير ؟
 شهرزاد قامت بمهمتها فى الف ليلة وليلة . أما مومنا رتر
 فتقوم بمهمتها فى كل ليلة منذ مئات الأعوام . . لا
 مع رجل واحد . لكن مع رجال كثيرين . لا مع كل
 انسان . لكن مع الانسان الذى يصنعى اليها ويحاس
 بين يديها ويعرف لغتها ويفهم عنها وينفذ إلى روحها
 السحيق من خلال ظاهرها اللاهى الماسجن المبتذل
 الخفيف . نعم يا جان . بل إني أريد ان اقول اكثر
 من هذا . أريد ان اقول ان مومنا رتر ليست قط تلك
 المرأة الفاجرة التى توحى باللذة السافلة . كلا . إنها فى
 اعماق نفسها امرأة لا توحى بغير الطهارة الكاملة .
 أقسم لك يا جان انى فى حياتى ما أحسست الطهارة

العليا الكاملة إلا في هذا الحي الخليع ! اتصدق
هذا ؟ أتعرف السبب ؟ السبب بسيط : الحرية .
تلك الحرية المطلقة في إتيان أية رذيلة بدون خشية
قيد أو تحریم . هذه الاباحة للرذيلة زهدتني في الرذيلة
نفسها . إن الانسان بطبعه يطلب الممنوع عنه المحرم
عليه ويزهد في المباح . ان الملك شهريار الذي استمتع
طول حياته السابقة بالنساء وباللذة الجسدية كاد يقتله
الملل فصار يقتل كل امرأة بعد ليلة واحدة . حتى
جاءته شهرزاد فكشفت له عن اللذة الروحية فاذا
هو ينقلب انسانا يعشق كل ما هو روح ويمقت كل
ما هو مادة . وإذا هو يصيح كلما عرضت له المادة :
« شبعت من الاجساد . . شبعت من الاجساد ! » .
هذه الصيحة انطلقت من فمي يوماً . . كما انطلقت

من فم كل فنان في مونتارتر . رأيت كيف ان
مونتارتر هي في حقيقتها مملكة الروح لا مملكة المادة !
أكثر من هذا ايضاً يا جان : مونتارتر هي النافذة
المفتوحة على بیداء الفكر المملوكة . هي المحطة التي يبدأ
منها كل فنان او مفكر رحلته الخفيفة في طريق البحث
عن الحقيقة العظمى : عامته مونتارتر التفكير فأنجه
اليه هائلاً بالعاطفة غير حافل بأعباء السفر حتى يظفر
بالمجهول . ألا تذكر : بيكاسو . جان كوكتو . إيريك
ساتي . زادكين . . الخ . أسماء في التصوير والشعر
والموسيقى والنحت ذهبت مغامرة في تلك البيداء ..
لا يعلم أحد أعود أم لا تعود . كذلك شهر زاد
أوحت لزوجها بجمال الفكر نخلع عنه العاطفة وانطلق
يهيم في تلك الصحراء خلف سراب العقل والفكر ...

لا يعلم أحد أيعود هو أيضاً أم لا يعود . كل هذا
وشهر زاد باقية كموئمارتر ترمق محبها القادم والراحل
بتلك النظرة الهادئة العميقة ، وتلك الابتسامة التي لا
يدرك لها كنه ...

وصمت قليلا ، ورفعت عيني الى جان فاذا هو
واقف بغير حراك يصغى وكأنه في حلم . ودخل القهوة
رهط من العمال والعاملات يطلب كل قدحا من
القهوة وخبزا صغيرا . فانتبه الخادم وانصرف اليهم .
مسرعا . ولبست أنا قبعتي ووضعت معطفي فوق
منكبي ... وتوجهت الى حجرتي ... اسدل سجفها
حتى لا يزعجني الضوء ... واملا زجاجة الماء الساخن
اضعها تحت قدمي خوف البرد ، وانام حتى «مطلع»
الليل . شأن الفنانين عشاق موئمارتر المدللين ...
الخاضعين لهذا الشعر : «حياة الليل وموت النهار» .

مصير الانسان (تابع شهرزاد)

قرأت البارحة ، تحت مصباحي الأخضر ، في
كتاب حديث ظهر هذا الشهر « لموريس مترلنك »
هذه العبارة :

« سوف تأتي على الانسان لحظة يأبى فيها
الحياة ، ما لم يكر عائداً إلى « الحيوانية » !
فذكرت من الفور الملك شهر يار في قصتي « شهرزاد » . إن

هذا الانسان قد حاول عبثاً أن يتذوق الحياة في آخر
أيامه ، فلقد بلغ من التجرد الفكري وقتئذ مبالغاً
باعد بينه وبين البشرية ، هذا الرجل كان قد مر بكل
الأطوار التي تعرفها الحياة الانسانية ، فقد عاش حياة
الحيوان يوم كانت تقدم له في كل ليلة عذراء يفتك
بها في الصباح . وعاش حياة القلب يوم عرف
« شهرزاد » فأحب جوارها ، ونسى القتل والفتك ،
وجلس إليها ينظر في عينيها ويصغي إلى قصصها .
ثم عاش حياة العقل يوم أيقظ فكره حديث شهرزاد
واتسعت أمام بصيرته آفاق عوالم ليس لها حدود ،
فنهض على قدميه ، وانطلق يهيم في أجواء الفكر
العليا . وفتنه حب المجهول واستكشاف المستور ،
ولم يسعفه العلم فاجأ إلى السحر ، ولم يطفى غلته

السحر فعاد إلى الفكر ، وضافت به الأرض ، فتطلع
إلى السماء . ولكن السماء لا يرقى إليها البشر ؛ وهو
لا يريد العودة إلى الأرض . تلك الأرض التي سئمها
وعاف ثمارها المادية والروحية ، واستنفد لذائذها
السفلية والعلوية . لقد فرغ من كل شيء ، وشبع من
كل شيء ، ولم يعد على هذه الأرض شيء يغريه بالبقاء
إلا أن يعرف . إنه يريد أن يعرف . يعرف ماذا ؟ يعرف ما
لم يسمح لأدنى أن ينفذ إليه ، تلك لذته الوحيدة التي
بقيت له ، وذلك هو خيط الأمل الذي يربطه
بالحياة ، ولقد أصابه في ذلك ما يشبه الخبل . فهو
يمضي الليل يتطلع إلى نجوم السماء كأنه يسألها أن
تجيب عن أسئلة فكره الحائر . وتعب الفكر
واضطرب في بناء جسمه الكليل . وأيقن أن الجسم

هو الود الذي يعقل روحه ويلصق فكره بالأرض .
فشار على الجسم ، وأراد أن يتحرر من سجنه . وسجن
الجسم هو «المكان» كما أن سجن الماء هو «الوعاء» .
فرأى أن يفر من جدرانہ بالسفر والرحيل . فطوف
في البلاد والقفار حتى وجد نفسه آخر الأمر يعود
إلى حيث بدأ المطاف ، وأدرك أن ليس في السفر
سوى تغيير إناء بعد إناء ، ومتى كان في تغيير الإناء
تحرير للماء ؟ فألقى بنفسه بعدئذ في خان أبي ميسور ،
طالباً الهرب من الجسم والمكان في غيبوبة القنب
والدخان ...

في أثناء هذا كله كانت شهرزاد ترقبه في عطف
ويأس . وعلمت أنه إنسان هالك . فهو قد ترك
الأرض ولم يبلغ السماء . فهو معلق بين الأرض

والسماء ينخر فيه القلق . وجعلت تحتال في علاج
 الداء . أما السماء فمن الجنون أن يفكر إنسان في بلوغها
 وهو إنسان . فلا مناص إذاً من إعادة شهر يار إلى
 الأرض إذا أريد له الحياة . فاجأت إلى « العبد » كي
 يعينها على إيقاظ « الحيوان » المحتضر في أعماق
 شهر يار ؛ ولكن التجربة لم تنجح فكان على شهر يار
 أن يختفى من مسرح الوجود

من الغريب أنى منذ كتبت هذه القصة ، وقد
 مضى الآن على وضعها نحو خمسة عشر عاماً ، وأنا أفكر
 في إرجاع هذا الملك التعس في قصة أردت أن أسميها
 « عودة شهر يار » . غير أنى وجدت أمر عودته
 عسيراً ، إن لم يكن مستحيلاً . فهو لن يعود بالطبع
 كما ذهب . إذ لا فائدة عندئذ من القصة الجديدة .

فلا بد إذاً من أن يعود شخصاً آخر . وهنا الصعوبة
ما الذي سيعيد هذا الرجل ؟ إنه كان قد ذهب في
تلك اللحظة التي ينبغي أن تقف عندها كل حياة
بشرية . إن شهرزاد نفسها لم تستطع شيئاً . فهل
أستطيع أنا ؟ إنها قد رأت ما به ، وأدركت أنه
شعرة بيضاء قد نرعت ، وأنه ككل شيء في هذا
الوجود قد دار وصار إلى نهاية دورة . فإذا عاد فأنما
يعود من أول الحلقة : مولوداً جديداً يمر بطور
الحيوانية من جديد

هل فهم أدباؤنا المعاصرون

حقيقة رسالتهم ؟ ؟

قبل كل شيء ، ما هي رسالة الأديب ؟

أهي تقف عند حد إخراج كتاب جميل ، أو

إنشاء مقال طريف ، أم أن لها هدفاً أبعد من هذا ؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نذكر أن

هنالك قima معنوية تقوم عليها كل حياة بشرية عليا .

تلك هي التي نسميها : « الحرية » ، « الفكر » ،
« العدالة » ، « الحق » ، « الجمال » .

هذه القيم لا بد أن يكفل حمايتها في كل مجتمع
راق هيئة من الرجال الأقوياء .

من هم هؤلاء الرجال المنوط بهم حراسة هذه
القيم ؟ أم رجال دولة رسميون ؟ هذا مستحيل .
فان للدولة ومصالحها السياسية اعتبارات قد تصادم
هذه القيم . وما زال التاريخ الحديث يذكرنا بمثل
« أميل زولا » في وقفته الخالدة لنصرة « العدالة » ضد
عدوان حكومة قوية الشوكة ، وطغيان دولة مرهوبة
السلطان .

كلا . إن هذه القيم العليا لا يمكن أن يؤتمن
عليها غير رجال الفكر الأحرار وخدمهم ، هم الذين كانوا

ويكونون سدنتها في كل زمان ومكان .

وهنا خطر رجال الأدب والفكر .

في أوربا يفهم الأدباء حق الفهم هذه الرسالة .
فراهم كلما هبت ريح الخطر على إحدى هذه القيم
يهبون متساندين يعتقدون الاجتماعات ، ويصدرون
البيانات ، على النحو الذي لا نألفه في مصر والشرق
إلا في الشؤون السياسية . تلك الشؤون التي تعد
صبغانية إلى جانب شؤون الفكر الخالدة . فان إصدار
بيان سياسي أمر لا يعنى غالباً غير اللحظة والمناسبة
التي صدر فيها . أما إصدار بيان فكري لحماية إحدى
القيم المعنوية العليا فهو أمر يعنى تاريخ البشرية جمعاء .
لذلك يملأ نفسى العزاء الجميل ويهزنى الفخر

العظيم إذ أرى أدباء أوربا اجتمعوا ويجتمعون من آن
لآن يتباحثون في « مستقبل الفكر في أوربا » وهو
محفوف بأخطار الحروب البربرية التي لن تبقى أثراً
لدار كتب ولا لمتحف فن ولا لمعهد علم .
هنالك في مثل هذه الاجتماعات نجد كل أديب
قد تجرد من رداء جنسيته الزائل ، ليدخل معبد
الفكر الخالد ويتكلم باسم تلك الهيئة الواحدة المتحدة
التي تعيش للدفاع عن قيم البشرية العليا .
هنالك نجد الجميع على اختلاف أممهم ، الانجليزى
يحياتى الفرنسى والأمريكى والروسى والألماني .
يتكلمون لغة واحدة هي لغة الفكر الأسمى . ونراهم
قد خلفوا وراء ظهورهم مصالح بلادهم السياسية
ومبادئها الدنيوية لينظروا في مبادئ الفكر وحدها

ومصلحة الإنسانية في مجموعها .

من أراد أن يدخل على قلبه السلوى والعزاء كما فعلت ، ويحس أن للبشرية المتحضرة حراساً عظاماً ، فليقرأ الخطب التي ألقاها في اجتماع « مستقبل الروح الأوربي » كل من : فاليري ، وهكسلي ، وكيسرلنج ، وتوماس مان ، وطاقور ، وسنكلرلويس وغيرهم ممن فهموا رسالة الفكر على أنبل نحو وأرفع وضع .

على أن هنالك أيضاً في داخل كل أمة وقفات يقفها رجال الأدب في كل ظرف يهدد الحياة الأدبية أو الفكرية ، ولو من بعيد وعن غير قصد . فهوض الهيئات الأدبية لحماية حرية الفكر أو القلم أمر يشاهد في كل يوم . إنما الجميل أن يعنى رجال الأدب

أيضاً بمسائل أقل من هذا خطراً ! من ذلك قيام
الأديب الفرنسي جورج دو هامل ومعه غيره من
الأدباء يتدبرون الخطر الذي يهدد « الكتب » الأدبية
على أثر انصراف الناس إلى سخف السينما والراديو
والمجلات المبتذلة .

وقد رأوا في ذلك كارثة سوف تحيق لا بالأدب
وحده ، بل بجيل أو أجيال كاملة سوف تشب على
غذاء روحى فاسد أو ناقص ، مما يترتب عليه انحطاط
الذوق العام ، والسير بالبشرية القهقري .
ومن ذلك أيضاً قيام هؤلاء الأدباء يطالبون
الحكومة باستثناء صناعة طبع ونشر الكتب من
الضرائب التي فرضتها وزارة « بلوم » على كافة
الصانعين والمنتجين . وقد آزرهم يومئذ في ذلك وزير

معارف بلادهم ونجحوا أخيراً في حماية الكتب وصناعة
التأليف من سيطرة القوانين الضارة بنموها
وذيوعها .

إذا مضيت في سرد الأمثلة على تيقظ أدباء
أوروبا وفهمهم رسالتهم فاني لن أفرغ . وكلنا يقرأ
ذلك في صحفهم كل يوم . إنما المسألة التي أحب أن
أضعها الآن موضع البحث هي : مدى فهمنا نحن
هذه الرسالة !! إني لن أتهم بالمبالغة إذا قلت إن
أغلب أدبائنا يفهم رسالة الأديب على أرخص أوضاعها
وأبخص نواحيها . فهم الأديب عندنا أن يخرج
كتاباً يبيع منه عدداً من النسخ أو يكتب مقالا
يقبض ثمنه مبلغاً زهيداً من المال . ثم ينام بعد ذلك قريحاً

العين . فهو وصانع « القليل » الفخار سيان . كلاهما لا يرى أنه يحقق فكرة سامية على الأرض أكثر من صنع « شيء » يباع في السوق ويقوم بأوده يوما أو يومين .

وكلاهما لا تنظر عيناه إلى أبعد من حانوته الصغير وبضاعته القليلة . فإذا حاق بخانوت جاره شر أو ضرر أو عدوان قد يفرح ، وقد لا يفرح ولا يحزن ، ولكنه على كل الأحوال لن يحرك ساكناً ، فالأمر لا يعنيه ولا يعنى حانوته هو .

نعم . لدينا أيضاً أخطار تهدد تلك القيم العليا في صميمها ، ولكن ما من أحد يتحرك لذلك . فإذا تحرك واحد سكت الباقون وتركوه يناضل وحده ، حتى يضعف ويقنط وتخور قواه . وماذا يعنيه هم

من ذلك ، إنهم لا يفرقون بين النضال الشخصى والنضال العام فى سبيل فكرة أو مبدأ . وإن استطاعوا التفريق ، لم يستطيعوا التجرد من منافعهم الفردية ومصالحهم الشخصية . فهذا أديب موظف يخشى على وظيفته ، وهذا أديب من حزب سياسى يخشى أن يتورط فى النضال من أجل فكرة يرى فيها سموً ، ولكنه أيضاً يرى فيها إحراجاً لحزبه . ومتى تعارضت المصلحتان ، فمصلحة الحزب تقدم عنده على مصلحة الفكر . أما الصحف الأدبية فشأنها أعجب من ذلك ، فهى لم تعرف بعد كيف تنهج نهج الصحف السياسية فى تحمسها لمبدأ معين . فالصحيفة السياسية عندنا قد أدركت منذ زمن أن واجبها يقضى عليها بالدفاع عن عقيدة سياسية . فهى تخلق

من أجالها وتعيش بها وتهمل كل ما خرج عن نطاقها .
أما الصحيفة الأدبية عندنا فلا تجعل من شأنها
الدفاع عن العقيدة الأدبية وما يتبعها من تقديس
الرأى والذود عن حرته . إنما هي صفحات تضم جملة
مقالات أدبية في مواضيع شتى لا غاية لها سوى
تزويد القارىء بشيء من المعلومات الطريفة . مجلاتنا
الأدبية هي الأخرى حوانيت صغيرة فيها ألف
صنف وصنف لتسلية الجمهور تسلية شريفة . ولكنها
لم ترتفع بعد إلى حيث تكون صاحبة لسان حال
ينطق باسم العقيدة الفكرية في الظروف الخطيرة
والمناسبات العصيبة ، فيحدث قولها هزات قوية في
طبقات المجتمع المستنيرة ، ويسمع لصيرير أقلامها
دوى في أزمات الفكر كأنه قصف المدافع ! على

النقيض . قد تظهر في أفق الفكر أزمة فكرية
فتحدث عنها الصحف اليومية وتسكت صحف
الأدب ، إما لأن الأمر لا يبنى حانوتها ، وإما لأنها
تؤثر لنفسها الأمن والعافية . وهي في كلتا الحالتين
غير مؤمنة بأن لها رسالة في مثل هذه الشؤون .

أمام كل هذا وقف الأدب ذليلاً لا حول له
ولا طول ، وضاعت هيبة الأدباء في الدولة والمجتمع .
وأنكر الناس ورجال الحكم على الأديب استحقاقه
للتقدير الرسمي والاحترام العام . فالعمدة البسيط
تعترف به الدولة ، وتدعوه رسمياً إلى الحفلات باعتباره
عمدة . أما الأديب فمهاشهره أدبه فهو مجهول في
نظر الرجال الرسميين ، ولن يخاطبوه على أنه أديب .

ومتى كان هذا شأن حراس « القيم العليا » في
أمة ، أدركنا مبلغ هوان هذه القيم نفسها على هذه
الأمة . « فالحرية » و « العدالة » و « الفكر » و « الحق »
و « الجمال » كلمات نسمع لها رنيناً في البلاد الأوربية
المتحضرة غير الرنين الذي نسمعه لها في بلدنا المسكين
(إن وجد لها عندنا أى رنين !) على أنه لا عجب .
فكيف نريد أن يكون الأمر غير ذلك وحماة هذه
القيم أنفسهم لا يعتقدون أنهم حماة ؟ إنهم أدباء ما
زالوا في أول أطوار الأدب ، ذلك الطور الابتدائي
الذي أستطيع أن أسميه : « الصناعة اليدوية » للأدب .

هل تنقص المرأة

بعض المواهب الفنية ؟

أردت أن أطالع كتابا للروائية « بيرل باك » ،
التي نالت هذا العام جائزة نوبل للآداب ، فما كدت
أذكر أنني أقرأ لامرأة ، حتى استوقفت ذهني حقيقة
وضعتني موضع التأمل : تلك الحقيقة هي أنني لم أقرأ
بعد حتى اليوم شيئا لامرأة . كيف وقع لي ذلك ؟

وكيف لم ألتفت إلى هذه الثغرة في مطالعاتي قبل
الآن ؟ وما تلك اليد التي وضعت على عيني فلم أر
أدب المرأة كما رأيت أدب الرجل ؟

من الاسراف في القول أن أزعم أنني لم أقرأ في
الصغر شعر الخنساء ، أو لم أعجب بعنات جارية
النساطي ، كما أنني معترف بأن مكتبتني لا تخلو من
مؤلفات شهيرات النساء في أزهى العصور . غير أن
الذي استطيع ان افضى به دون أن أكذب ، هو
أنني لم افتح هذه المؤلفات ، ولم أكن يوما من قراء
كاتبة من الكاتبات . لا ينبغي أن يفهم من هذا أنني
أهمل شأن المرأة عن عمد ، أو أنني أنكر عليها
الموهبة والنبوغ . الأمر على النقيض . فأنا أقف
من نفسي موقف المعاتب المعنف ، لا موقف القانع

الراضى . ولقد اعتدت في كل شؤونى الفكرية أن
أترك القياد لنفسى ولعزيمتى الفنية : فهى التى تختار
لى ما ينبغى أن أقرأ ، وهى التى ترشدنى إلى ما يصلح
غذاء لى . وإنى لأمر بواجهات المكتبات فى اليوم
مرات منذ سنوات طويلة ، فأرى كل ما يعرض
يعجبنى ، ويلذ لى النظر إلى الكتب لمجرد النظر ،
واتأملها كما تتأمل المرأة الثياب الزاهية فى الحوانيت .
ولو انى تركت الأمر لرغبتى ولذتى لاقتنيت
حتى اليوم من الكتب ما يملأ قاعات ، ولكفى مع
ذلك أقل الكتاب شراء للكتب . فأنا لا أشتري
إلا لأقرأ . ولا أقرأ إلا ما أحس بعزيمتى الفنية
أنه يحدث فى مجرى تفكيرى أثراً . ولقد هدتنى
نفسى حتى اليوم فأحسننت هدايتى . ولقد راجعت

اختيارها الى فالفيتها في الحق أحكم اختيار . فما بالها
إذن قد صدفت عن مؤلفات النساء ؟
كان هذا موضوع تساؤلى الليلة . وهبطت إلى
أعماق نفسى ، فاستكشفت الجواب : إن ميولى
الفنية قامت منذ الصغر على عمادين : النزعة الفلسفية
والتركيز فى الأداء . لهذا اتجهت مطالعاتى إلى نوعين
من الكتب : المؤلفات الجافة التى تتصل مباشرة
بالفلسفة أو العلم ، أو المحتوية على مادة فكرية
خالصة . ثم القمص التمثيلى ، وهو المظهر الوحيد
من مظاهر الأدب الانشائى الذى وجدته مبنياً على
«التركيز» فى الأداء . هذان النوعان بالذات لم أجد
للمرأة فيها أثراً بارزاً أو غير بارز . فليس للمرأة
منذ أن ظهر لها إنتاج فى تراث الفكر البشرى

مؤلف واحد في مسائل الفلسفة أو شؤون الفكر
العويصة . وليس للمرأة حتى اليوم قصة تمثيلية
واحدة اتخذت لها مكاناً في تاريخ الأدب التمثيلي الخالد .
تلك ظاهرة عجيبة في طبيعة المرأة ! إن المرأة منذ
فجر التاريخ حتى اليوم قد برهنت على ذكاء عظيم ،
ودقة إحساس تستثير الإعجاب . ولقد ظهرت في
ميادين النشاط الفكري شاعرة فياضة بالوحى الإلهي
وناثرة قديرة علي إيقاظ أنبل عواطفنا الانسانية .
ولقد استطاعت أن تكون ملكة وحاكمة وقائدة
جيوش وسياسية مخنكة وصانعة تماثيل ومصورة ومغنية
وراقصة وعازفة . كل شيء قد برزت فيه ، وساوت
فيه الرجل ، وفاقته أحياناً ، وتركت للناس فيه
أحدوثه باقية وذكرأ خالداً . نعم ، كل شيء ،

استطاعته المرأة خلاشيئين : أن تكون « فيلسوفة »

وأن تكون « مؤلفة قصص تمثيلي » .

لماذا ؟ لماذا وقفت عبقريتها عاجزة أمام هذين

« النوعين » ؟

أترى « التفكير » و « التركيز » صفتين ناقصتين

عند المرأة ؟

لا أحب أن أقطع بذلك . ولكني أريد أن

أقول إن « الشعور » و « التحليل » هما الدعامة التي

شيدت عليها المرأة كل آثارها الخالدة في تاريخ

الآداب والفنون . فمن شاعرات العرب والاسلام

وسافو ، إلى مدام دي ستال وجورج ساند وجورج

إليوت ، إلى كوليت وماري وب وكاترين مانسفيلد

وسجريت أندست . كلهن قد ارتفعن متأوقات في

سماء الفن على أجنحة «العاطفة» الرقيقة . وكلهن قد
أظهرن من البراعة في «التحليل» ما قصر عن إدراكه
كثير من نوابغ أهل الفن من الرجال . و «التحليل»
هو الملكة التي لا بد منها لكل كاتب يعالج «الرواية
الخالصة» . فهذا النوع من الأدب إنما يقوم على
النفوذ الدقيق إلى نفوس الناس وضمائر الأشخاص ،
مع التفات خاص إلى كل ما يحيط بحياتهم من أشياء ،
ومع عناية كبرى بذكر التفاصيل التي تخفى على العين
العابرة ، والاسهاب في تحليل المشاعر المستقرة في
نفس الكاتب كلما سمحت بذلك ظروف الموضوع .
وهنا مجال التفوق يتسع للمرأة . وهنا استطاعت
بالفعل أن تظهر من طول الباع وقوة الجلد على تحليل
التفاصيل ما أثبت لنقاد الأدب من الرجال أن

« الرواية الخالصة » نوع توشك المرأة أن ترفع عليه علم السيادة . ولقد قرأت ذات مرة كلمة دهشة لناقد قرأ رواية لكاتبة انجليزية ذكر عنها بعض تلك الصفات التي تميز المرأة في كتابة القصة ، فتساءملت يومئذ أنا أيضاً الأمر وقلت لنفسى : « لا عجب ! إن المرأة تمسك « بالقلم » لتصنع قصة كما تمسك « بالابرة » لتصنع ثوبا من « التريكو » . وإن هذا الجلد من ذلك . وإن « القصة » النسوية بما فيها من تفاصيل دقيقة لشئون الحياة اليومية ، ومن إسهاب وإحصاء لتفاهات الحوادث المنزلية ، ومن وصف وتحليل لأبسط الاحساسات الداخلية ، ومن بسط وتجميل لكافة المشاعر الانسانية . كل هذا ليس في حقيقة الأمر سوى نوع « من شغل الابرة » !



هذا في الأدب . أما في الوان الفن الأخرى .
فالمرأة كذلك قد تخلفت كلما تطلب الفن ملكة
« التركيز » . والتركيز هو الصفة اللازمة « للبناء » . والبناء
عمل يحتاج إلى شيء من التفكير . بل إلى شيء من
الذهن الرياضى . فهو ليس مثل « التحليل » مجرد سرد
للتفاصيل وطرح للعناصر . إنما هو اختيار ذهنى لخير
التفاصيل وأصاح العناصر لتشييد جسم قائم له في
ذاته حياة ، وله جمال ، وتنبعث من مجموعته فكرة .
لهذا لم تستطع المرأة أن تكون « مهندسة » في
فن العبارة . ولم نجد لها ذكراً بين أولئك العباقرة من
الرجال الذين شيّدوا الهياكل في الزمن القديم ، ولا بين
هؤلاء الذين يقيمون الآثار الجميلة في الزمن الحديث .

فن الموسيقى ايضاً تقف امامه المرأة هذا الموقف
 الغريب . فهي عازفة بارعة ومغنية حاذقة . لأن
 « شعورها » العميق يعينها على أداء الألحان خير
 أداء . ولكنها لم تستطع حتى اليوم أن تكون هي
 « واضعة الألحان » . لم يشهد تاريخ الموسيقى « امرأة
 ملحنة » وضعت « قطعة سانفونية » أو تركت « أوبرا
 موسيقية » لها ذكر بين الآثار الموسيقية المعروفة
 في التراث القديم أو الحديث . لماذا ؟ لأن وضع
 « قطعة موسيقية أو سانفونية » هو أيضاً « بناء
 وتشيد » مثل بناء معبد أو بناء قصة تمثيلية .

أحسبني قد وضحت لنفسي والناس سر صدوفي
 عن ادب المرأة . هنالك مع ذلك شيء آخر ، قد

يكون سبباً لما تقدم أو نتيجة له ، لست أدري على وجه التحقيق . هذا الشيء هو : انى اكره فى غالب الأحيان قراءة القصة المروية . نعم ، لا مناص لى من الاعتراف بهذا الأمر المخجل . ليس لى صبر ولا جلد على مطالعة قصة خالصة ، وقد حرمت بذلك الاطلاع على كثير من أروع آثار الأدب الحديث . ومن بينها بالضرورة أدب المرأة ، وهو كله قصص خالص .

كل شيء إذاً قد باعد بينى وبين المرأة فى مجال الخلق والفن . فأنا أحب الفلسفة . والقصص التمثيلية وفن العمارة . والموسيقى السانفونية .

اعمدة اربعة من عمد «البناء» الذهنى يقوم عليها عالم فى عظيم ، لم تأذن الطبيعة للمرأة فى أن تساهم فى رفعه بنصيب .

أثر المرأة في أدبائنا المعاصرين

إن كل ما يعنيني اليوم من امر ادبائنا المعاصرين
هو ذلك الجانب المجهول المستور الذي لا يحبون ان
يكشفوا عنه للناس . إن ادباءنا يعلمون - بحكم
ثقافتهم واطلاعهم في تاريخ حياة العظماء - ان المرأة
كانت في اكثر الأحوال ذات أثر بارز ، لا في تلوين

حياتهم وحدها ، بل في توجيه اعمالهم وتصريف
 اقدارهم ؛ فهناك ملكة سبأ في حياة سليمان ،
 وكليوباترا عند قيصر وانطوان ، وجوزفين مع
 نابليون ، وهنرييت في عمل رينان ، وملتون
 وابنته ، وكارل ماركس وزوجته ، وابراهيم لنكولن
 وقرينته . بل عندنا خديجة والنبي محمد ومؤازرتها
 إياه في مبدأ جهاده ، ثم اثر بقية النساء في حياته ،
 فلولا هن ما نزلت بعض آيات القرآن . ذلك اثر
 المرأة في الأنبياء والعظماء . اما اثرها في الشعراء
 والأدباء ، ورجال الفن والفكر ، فهو يكاد يعد في
 حكم الناموس ؛ فما من شاعر او اديب او فنان عاش
 كل حياته وانتج كل عمله ، بعيداً عن امرأة او شبح
 امرأة او ذكرى امرأة . إن عبارة «فتش عن المرأة»

ينبغي أن ترسخ في ذهن كل مؤرخ يتصدى لدرس
شاعر أو أديب أو فنان . « فتش عن المرأة » عند
أهل الفكر والفن . فتأثيرها فيهم شديد . إن وجدت
في حياتهم وإن لم توجد . وهنا قوتها . فهي تؤثر
بوجودها واختفائها . وهذا ما حدث بالفعل ، ويحدث
كل يوم في تلك الكتب التي تظهر بين آن وآن . حاوية
لتراجم هؤلاء الرجال ، باحثة ظروف تأليفهم
ومؤثرات أعمالهم .

ترى هل في مقدور مؤرخ أن يدرس أثر المرأة
في أدبائنا المعاصرين ؟

آه . الويل للمؤرخ الذي يفعل ذلك ! إنه لن
يستطيع في سهولة أن ينفذ إلى حياة أدبائنا الخاصة .
فهم ما زالوا في حالة « حجاب » ، وقد وضعوا على

منابع وحيهم ومصادر مشاعرهم الخلاقة ، نقاباً
كثيفاً كنقاب المرأة المصرية قبل السفور . إنهم ما
زالوا يحمرّون حياء دونه حياء العذارى كلما لمس أحد
الباحثين ذلك النقاب الذي يخفي عواطفهم الدفينة ،
أو ذكرى خفقات قلوبهم القديمة . ولم يؤمنوا بعد
بأن طبيعة عملهم تقتضيهم أن يصدقوا الناس والتاريخ
عما في نفوسهم من مشاعر خفية . فما الفنان إلا رجل
عرض قلبه ونفسه للتشريح العام أمام البشرية والزمن .
فنحن إذن في موقف غريب : إن سفور المرأة في
مصر قد سبق سفور الأديب . من أجل هذا نرى
أن جانباً كبيراً من أدبنا الحديث ما زال أدباً
« حبيساً » تفوح منه رائحة الحجرة المغلقة . أدب
صناعة ، وأدب « غلب محفوظ » من التعبيرات المستعارة

والأساليب والدراسات المستخرجة من خزائن
الأقدمين . أما أدب الهواء الطلق ، أدب التعبير
عميق في أعماق النفس في حرية وأمانة وإخلاص ،
أدب الحياة النابضة بتفاصيل المشاعر الأدبية . هذا
الأدب الخارج من القلب ليخاطب كل قلب على
وجه البسيطة . هذا الأدب العالمي الذي يؤثر في
نفس كل أمة وكل جنس وكل آدمي ، لأنه ينبع
صافياً خالصاً حاراً من قلب آدمي . هذا الأدب
حظنا منه قليل ، لأن حظنا من الصراحة والصدق
قليل .



ومع ذلك فإن هذا القليل يكفينا في الوقت
الحاضر ، على شرط أن نتعهدده بالعناية وحسن

الالتفات . إن من بين أدبائنا المعاصرين من خرج
سافراً من الحجرة المغلقة ، ليكشف للناس عن بعض
مشاعره الخاصة في شجاعة وصراحة . فهذا « طه
حسين » قد أعلن للناس في كتابه « قصص تمثيلي »
ذلك الاهداء الجميل : « إلى زوجي التي جعل الله لي
منها نورا بعد ظلمة وأنسا بعد وحشة ونعمة بعد بؤس
أرفع هذا الكتاب » . ثم تلك الصفحة الرائعة التي
صدر بها كتابه « مع المتنبي » :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون ... » صدق الله أيتها
الزوج الكريمه وتمت كلمته ، ففي ظل هذه المودة
درست هذا الشاعر العظيم ، وفي ذرى هذه الرحمة

أملت هذه الفصول . وإن قلبي ليملؤه البر ، ويغمره
الحنان حين أذكر ما كنت تبدئين وتعيدين فيه ،
أثناء ذلك من حث لي على الراحة ، ورغبة إلى في
التروض ، وإلحاح على في الاستمتاع بنعيم الحياة ،
وجمال الطبيعة في جبال الألب ، وما كنت ألقى به
عطفك من إباء وإعراض ، وما كان يشور في نفسك
من غضب مصدره الرحمة والاشفاق . واني لأعلم أنني
كنت في ذلك قاسياً جافياً ، ولكني أعلم أنني مدين
لهذه الجفوة ، وتلك القسوة بهذا الكتاب . فأذني لي
في أن أقدمه إليك ، لعله ينسيك من ذلك ما لا
تزالين تذكرين .

هذه حالة ظاهرة لعين الباحث . ولكن هنالك
حالات مستورة لم ينوه عنها أصحابها إلا تلميحاً ،

فعلينا إذن أن نستخرج مكنونها من بين السطور .
فذلك « هيكل » في قصته « زينب » قد وصف امرأة
لكنه لم يخبرنا أهي امرأة حقيقية رآها في الواقع يوما
فألهمة هذه القصة . أم أن الأمر كله من صنع
الخيال ؟ على أن « هيكل » فيما أذكر قد تحدث في
موضوع آخر عن سيدة أوربية قابلها في بعض
أسفاره بالخارج . حدثته كثيراً وحدثها في شئون
الأدب ، فما غادرت حتى استقر في نفسه العزم على
كتابة القصة . إنه إذن قد لقي في حياته هو أيضاً
امرأة أثرت في عمله ووجهته بعض التوجيه .

ثم يأتي « العقاد » بقصته « سارة » فيضع تحت
أنظارنا صورة امرأة لا شك عندنا في أنها حقيقية ،
وأنه قد التقى بها وجها لوجه ، وأنه انتفع بها كثيراً

في دراسته لتفاصيل خالق المرأة وطباعها . وأنها قد
 أثرت في مجرى حياته بعض التأثير ، وعدلت أو
 أضافت الى عامه بالحياة الشيء الكثير . ووجه يقيني
 بكل هذا أن العقاد كاتب قليل الالتجاء إلى
الخيال والاختراع . وهو على الرغم من ابتعاده عن
 الكلام في شئون نفسه على نحو مباشر . فأننا
 نستطيع أن نعرف من مجرد مقال له ماذا أكل
 أمس وماذا شرب وماذا قرأ وماذا يحب من ألوان
 اللهو وماذا يستظرف من أنواع الحيوان .

العقاد

ويجىء « المازني » . وهنا لا أجد أعسر على من
 البحث عن أثر امرأة بعينها في حياته . إن المازني
 كثير التصوير لنفسه ولحياته وبيته ، ومع
 ذلك فالويل لمن يؤرخ له . إن قدرة المازني في

المازني

الاختراع ، واختلاط واقعه بخياله قد أسدل حجاباً
كثيفاً على وجهه الحقيقي . فأنا في الحقيقة عاجز عن
أن استخلص من بين رواياته التي تعج بالنساء
المدلالات ، والأوانس الرشيقات ، امرأة واحدة
استطيع أن أقول إنها كانت عنده صاحبة
الشأن الأول . على أن الذي لا شك فيه عندي ولا
نزاع أن هذه المرأة موجودة بالفعل ، ولولاها ما
استطاع المازني أن يكتب قصصاً .

ثم يأتي « الزيات » وهو في ادبنا اليوم ممثل
الرومانتيكيين ومترجم اعلامهم . فاذا هو بالطبع
صرح في ذكر مالهمة . فقد قال في كتابه :
« وحى الرسالة » : « عرفت في باريس عام ١٩٢٥
الآنسة فرناند ابنة احد القضاة في محكمة ديجون .

كانت طالبة بالسنة الأخيرة من كلية الحقوق . وكان
لها بالمستشرق المرحوم ب. كازانوفا استاذ الأدب
العربي في الكوليج دي فرانس صلة قرابة أو صداقة .
فعرفني اليها لتكون لي في مدينة النور ما كانت
« يياتركس » لدانتى في جنة الفردوس ... أدينا
الامتحان معاً . ثم أرسلت نفسي الحشيمة على هواها
ومناها فزرننا معابد الطبيعة في فئسين وسان كلو
وفنتينيلو . وحججنا محارب الفن في اللوفر والأوبرا
وفرساي . وكنت يومئذ أترجم « رفائيل » فكان ما
أقرأ وما أكتب وما أسمع وما أرى نسقا عجيبا من
الجمال والجلال والفن والشعر والحب والتأمل
والاستغراق ، لا يدع للخيال الوثاب مسبحا ولا
للنفس الطماحة رغبة . ثم أحرم الفراق . فرجعت إلى

مصر ولحقت هي بأهلها في «رويان» . وكان يبنى
وينها رسائل مسكية المداد وردية الورق ، تؤلف
كتابا من شعر القلب والعقل . . . الخ

وأخيرا «زكى مبارك» وقد كتب كتابا ضخما
عن «ليلي المريضة في العراق» ، وفصولا طوالا عن
«مجنون سعاد» . وعلى الرغم من هذا المرض
والجنون اللذين دفعاه إلى وضع هذه المؤلفات . فأنى
أشك كل الشك في وجود «ليلي» و «سعاد» . إن
وجودهما في حياته كوجود «دولسينيه»
في حياة «دون كيشوت» ! وفي الحق أن بين
الشاعرين لشبها كبيرا : فكلاهما يحب امرأة
موهومة وينازل طواحين الهواء على أنها الجبابة !
وهو هنا خير مثال يعطى لما قدمت من أن مجرد

شبح المرأة يكفى لألهام الأديب .

هنالك بعد ذلك حالة أخيرة لأدباء أثرت في
تكوين ثقافتهم نساء فضليات . ومع ذلك لم يجر على
أقلامهم وصف مسهب لامرأة . من بين هؤلاء
« مصطفى عبد الرازق » . إني موقن بأن هذا القلم
الذي يسيل أحياناً رقة وعذوبة لا يمكن أن ينبع وحيه من
صحراء الكتب الصفراء وحدها . ومن بين هؤلاء
أيضاً « أحمد أمين » وقصته عجيبة ! فإني منذ وقت
غير بعيد أتأمل أمره وأسأل نفسي : كيف استطاع
هذا الباحث الجاد في تاريخ الأدب والمؤرخ الجاف
للعقليات الإسلامية أن يكون أديباً ثم كتاباته أحياناً
عن فهم للقلب والعواطف ؟ وخامرني شك في طبيعة

المؤثرات التي طرأت على حياته الذهنية والنفسية .
 فتحررت منه ، فكشف الأمر لي عن حقيقة
 أدهشتني ! نعم . هو أيضاً قد أثرت في حياته
 امرأة ، استغفر الله ، بل امرأتان هما سيدتان
 انجليزيتان . لن أقص الظروف التي التقى فيها بهما .
 فالذي يعنيني هنا الآن النتائج التي خرج بها الأديب
 من هذا اللقاء . لقد أثرت إحداها في ذهنه وتفكيره
 بثقافتها الواسعة ، وأثرت الثانية في قلبه ومشاعره
 بجملها ونبيلها . وغادرتاه منذ أمد بعد أن تركتا
 وصنعتا « عقلا وقلبا » يطلق عليهما اليوم اسم :
 « احمد امين » .

فأدباؤنا المعاصرون لم يشذوا إذن عن الناموس ،
 فهم أيضاً يدينون للمرأة بما دان به كل شاعر وفنان .

وبعد ، فأرجو ألا يدهش القارىء لصدور هذا الكلام ممن اعتاد الناس أن يسموه «عدو المرأة» . إن روح الانصاف فى دمي ، فقد نشأت فى بيئة القضاء ، وكنت أنا نفسى من رجال القضاء قبل أن أخصص حياتى نهائيا للقلم . على أنى أحب أن أسترعى النظر إلى ظاهرة جذيرة بالتفكير . إن القارىء قد لحظ من غير شك أن المرأة التى اثرت فى عمل ادبائنا المعاصرين هى فى اغلب الأحوال امرأة أوربية : فرنسية او انجليزية او إسرائيلية أجنبية . ولعله يتساءل :

— أين المرأة المصرية ؟ أتراها مشغولة حتى الآن بصنع «التواليت» وقيادة السيارات ولعب

الورق في الحفلات ، بدلا من صنع العقول ، وقيادة
القلوب ، واللعب بمصائر الرجال وأقدار المشاهير ؟
إن روح الانصاف تمنعني من الاسراع
بالجواب .

الواقع والخيال

في الفن

قرأت المقالات العدة التي نشرت أخيراً تعقيباً
على ما جاء في الفصل السابق خاصاً « بالعقاد » وقلة
الالتجاء في « الفن » إلى الخيال والاختراع . فلم أرَ بينها
ما هو جدير بالالتفات غير رد العقاد نفسه ، فهو على
عادته يعرف كيف يستخلص العام من الخاص ،

ويرتفع بالموضوع إلى قمم الفكر الخالص ، ويترك
اللغو من الكلام ليثير القضايا الذهنية التي تمس
جوهر الأدب والفن في كل زمان . فقضية « الواقع
والخيال » في العمل الفني من المسائل التي لن يفرغ
فيها الحديث . فالقول بأن هذا الكاتب يعتمد على
الواقع ، وأن ذلك يعتمد على الخيال ، ثم المفاضلة بينهما
والموازنة بين الجهد الذي بذله كل منهما ... كل هذا
يتكلم فيه الناس منذ أن وجد الفن ، وكل له رأيه .
ورأى في ذلك يشابه رأى العقاد ، لأن اعتماده على
الواقع في قصة « سارة » يشابه اعتماده على الواقع
في « عودة الروح » أو في « يوميات نائب في الأرياف » .
فلا ينتظر مني أنا إذن أن أنتقص من قيمة الأعمال
التي تبني على الواقع .

على أن الحقيقة هي أن العمل الفني مخلوق جديد
وكائن مستقل عن ذلك الواقع الذي يعيشه الفنان
ويزعم أنه رواه بحذافيره . لأن العمل الفني ليس مجرد
المادة الأولية من الحوادث الداخلة فيه ، ولا هو
ذلك اللحم والدم الذي يتكون منه جسمه . إن كان
هذا هو كل شيء ، لاستطاع كل إنسان أن يكون
فناناً ، ولكان في مقدور أي فرد من البشر أعطى
مقداراً من اللحم والدم أن يصنع مخلوقاً حياً .

إني أوافق العقاد على أن خلق العمل الفني من
الواقع أصعب ألف مرة من صنعه من الخيال . إن
الرجل الذي يعيش حادثة ثم يستطيع أن يرويها رواية
تحدث في نفوس الناس عين الأثر الذي أحدثته فيه
لهو أعظم فنان . كان «جوته» يقول إن أقدر كاتب

لا يرى مما يحيط به من مظاهر الحياة غير واحد في
المائة ، ولا يعي ويفهم مما رأى أكثر من واحد في
المائة ، ولا يستطيع أن ينقل إلى الناس مما وعي
وفهم وأحس أكثر من واحد في المائة .

نعم . وإني لأطبق هذا القول على حالي فأرى
أنى حقاً لم أستطع يوماً أن أنقل إلى الناس غير أصغر
صورة وأضعف إحساس لما علق برأسي من صور ،
وما مر بنفسى من مشاعر تلك الأعوام التي قضيتها
على هذه الأرض .

ولقد قرأت ذات مرة أسطورة قديمة تحكى أن
رجلاً ساحر الحديث ، كان يفتن أهل قريته كل
مساء برائع الروايات المختلفة ، عن مغامرات موهومة
كان يزعم لهم أنها وقعت له اثناء النهار . وكان يسوق

الحديث في مهارة ويقص الحوادث في لباقة ويسبغ
على كل هذا التمويه اصباغا لها لون الحقيقة الواقعة في
سهولة ، إلى ان شاءت المصادفة ان تقع له ذات نهار
حادثة حقيقية ومغامرة واقعية ؛ فذهب إلى اهل
القرية في ذلك المساء على عادته وأراد ان يتكلم وان
يصف لهم ما حدث فلم يستطع ، وارتج عليه ووقع
في صمت مرذول واطرقوا ثم في اسف طويل !
والسبب في ذلك بسيط : إن اختراع حادثة
لم تحدث هو امر من صنع الانسان ، وعمل من
اعمال الخيلة الآدمية ، قد يدل على قوتها ونموها لا
أكثر ولا أقل . اما ان تقع حادثة من السماء صنعها
الله فنحاول نحن بعد انقضائها أن نعيدها إلى الحياة
وان ننفض فيها من عندنا روحاً يقيمها من جديد

نابضة كما نزلت أول مرة ، فهو عمل عظيم ، لأن
القدرة البشرية تحاول فيه ان ترتفع إلى الدنو من
القدرة العلوية .

كل فن عظيم هو عملية إحياء . كل فن عظيم
هو « بعث » . كل فن عظيم هو رد الروح إلى
مشاعر غرستها السماء في نفوسنا يوماً .

بغير هذا لعدنا روايات « روكامبول » (وهي
مثل بارز للملكة الخيال عند الانسان) في مقدمة
الأعمال الفنية الكبرى .

لا . إن الخيال في العمل الفني العظيم لا ينبغي
ان يكون سوى وسيلة من وسائل إعادة الروح إلى
تلك المشاعر الحقيقية التي صنعها الله وكادت تجرفها
الاحظات الجارية لولا يد الفنان .

إن الخيال عند الفنان كقطع الجلد عند
الاسكاف ، يرقع به فقط ثغرات الحقيقة الضائعة .

أخشى أن يساء فهم هذا الكلام ، وأن يستنتج
قارئ ، مما تقدم أن كل عمل الفنان ينحصر في تدوين
الوقائع التي صادفته تدويناً أميناً .

كلا . إن الفنان ليس محرر تقارير . إنما هو
مقرر عواطف ومشاعر ، وليست الأمانة المطلوبة
منه هي في نقل الحوادث والوقائع ، إنما هي في نقل
الاحساسات الدقيقة والمشاعر الصادقة إلى جميع
النفوس . وهو بعد ذلك حر في اختيار الوسائل
والوقائع والطرق والأساليب التي توصله إلى هذه
الغاية .

إن قصتي « شهر زاد » مقتبسة عن « ألف ليلة وليلة » فثناذا يقول إن حوادثها وقعت لي ؟ ومع ذلك فليست فيها عاطفة واحدة لم أحسها يوماً ... أو لن أحسها يوماً .

هنالك مع ذلك أحوال يتقيد فيها الكاتب أو الروائي بالواقع تقيداً وثيقاً ويكاد عمله لا يخرج عن مجرد سرد حادثة سنحت له في الحياة . فهل لنا عندئذ أن نجرد عمله من القيمة الفنية ؟ لا . إن السرد وعدمه لا شأن له في الأمر . إنما المعول عليه في الفن أن يستطيع الروائي ، وهو يسرد الحادث كما وقع ، كشف الستار قليلاً عن تلك القوانين الخفية والحقائق الثابتة التي تحرك الأشياء والكائنات . وهنا الفرق

بين الصحفي والفنان . إن الصحفي يروى لك حادثاً
وقع فلا ترى في الأمر غير مجرد الحادث . أما الفنان
فيقص عين الحادث ، فإذا أنت قد غمرت في جو
آخر ، وإذا الحادث قد أخذ وجهاً آخر ، وإذا
الحادث قد انفرجت خلفه أشياء لم تكن بادية للعين
العابرة . . .

إن يد الفنان كيد الساحر تلمس كرة البلور
فتبقى كرة البلور كما هي ، ولكنك ترى فيها وتقرأ
مناظر وأشياء لم تكن فيها من قبل . . .

تأملات

حول تشجيع الناشئين

لم أقرأ كتباً هذا الأسبوع . ولكنني قرأت
طائفة من رسائل ومقالات وقطع أدبية ، بعث بها
إلى أدباء مجهولون ، يطمع بعضهم في النشر ، ولا
يرجو البعض الآخر إلا أن أطلع ما سطر .
فطالعت . وهذا واجب جديد ، أفرضه اليوم على

نفسى . فلقد رأيت عدداً كبيراً من الشباب يتجه
إلى الأدب فى أمل ، عارضاً مواهبه على المشتغلين
به ، كما تعرض على الصائغ الحلى والجواهر . فأيقنت
أن عملى يجب أن يتسع مداه ، وأن حانوتى القديم
لا ينبغى أن يقتصر على الصياغة والصناعة ، بل
يتعداها إلى السعى للاستكشاف فى البحار العميقة ،
واستخراج اللآلىء المخبوءة ، وتعهدها بالصقل
والتهذيب ، وعرضها على الناس لأمعة براقه .

وفرغت من القراءة ، وقد طرحت أكثر ما
ورد من مخطوطات ، مقتنعاً بأن من العبث أن
يمضى أصحابها فى هذا الطريق ، إن سمة الأديب
وصفة الكاتب لا تخفى على النظرة الخبيرة . هؤلاء

قد سقطوا من الحساب ، وخرجوا من موضوع الحديث . أما الذين أكرس من أجلهم هذا الفصل ، فهم أولئك القلائل الذين استرعوا التفاتى وانتزعوا إعجابى ، وأثبتوا لى أن الطبيعة قد ألقت فى نفوسهم البذرة ، وتحت يدي حتى الآن مخطوطاتهم أجيل فيها البصر ، وأنا مغتبط اغتباط الناظر إلى زهر البنفسج يتفتح رويداً رويداً فى مطلع الربيع . أدهشنى من أحدهم حوار قصير يقطر ظرفاً ودعابة وخفة روح ، مع فهم غريزى لما ينبغى أن يكون عليه هذا اللون الأدبى من سرعة فى إدارة الحديث حتى لا يشغل ، وحسن اختيار فى الجواب حتى لا يقع فى اللغو ، وإلهام يشرق بالمبارات الموفقة بين سطر وسطر . كما أعجبني من آخر عمل أدبى مزج

فيه الحوار بالقصة . وهو لا يملك ما عند صاحبه من
هبة اللباقة . غير أن عنده روحاً نزاعاً إلى التفكير
الفلسفي يسوقه على نحو يترك في النفس أثراً . ثم
قرأت لثالث أفكاراً تنم عن فهم واستفادة مما يطالع
وملاحظة لما يشاهد . ولكن ... لا شيء غير ذلك .
هنا ينبغي أن أبادر فأقول إن هؤلاء كلهم بالضرورة
لم يملكوا بعد الشيء الوحيد الذي يجعل الكاتب
كاتباً . إنني أستطيع أن أنشر لهم هذه الكتابات
الآن إذا أرادوا . لكن ... أبهذا يتم التشجيع
الواجب لهم ؟ أبالنشر المبكر والقطف قبل النضج
نسدى إلى زهر الربيع الخير ونبىدى له التقدير ؟ ما
أكثر الناس الذين يحملون في رؤوسهم أفكاراً
عظيمة ، وفي نفوسهم مشاعر قوية ، وفي أفواههم

دعابات ظريفة وكلمات طريفة ! غير أن كل هذا لا
يصنع كاتباً .

ما هو الكاتب إذا ؟

هو الخلاق الذي ينفخ في كل هذه الأفكار
والمشاعر والكلمات ، فإذا هي قد استوت على أقدامها
حياة تسعى في حياة مستقلة . هو الصانع الذي ينسج
رداء رائعاً لشؤون الفكر ومخلوقات الأوهام ، فتبدو
هذه المعنويات للناس في شبه أجساد مادية لا تمحوها
الأيام .

هو أخيراً صاحب الأسلوب . ولست أعني
بالأسلوب (اللغة المنمقة) إنما الأسلوب هو الطريقة
التي يبتكرها الكاتب أو الفنان لاقتناص أدق
المشاعر وأرفع الأفكار . الأسلوب هو وحده الذي

يشقى في سبيله الكاتب والفنان طوال الأعوام . إن كل كلام قد قيل ، وكل عاطفة قد وصفت . وكل فكرة قد وضعت . ما بقي للفن جديد منذ غابر الأزمان . ومع ذلك فإن الفن يولد من جديد في كل زمان . لأن الفن ليس في ذات الكلام أو الفكرة أو العاطفة ، إنما هو في ألوان الأثواب التي ترتديها هذه الأشياء على مدى الأحقاب . إن الفن هو الأسلوب . والأسلوب هو الفنان . .

دعى مرة العازف الموسيقى « كريسلر » إلى سماع صبي قيل إنه نبغ في العزف على « الكمنجة » نبوغا إلهيا يعد في العجائب والخوارق . فأصغى « كريسلر » مليا إلى قطعة عميقة عسيرة من قطع « بيتهوفن » يؤديها هذا الصبي ، فما تمالك أن

صاح إعجاباً :

— نعم ، إن هذا الصبي قد سما بي إلى قمم
رفيعة من الاحساسات البشرية . وانه ليدهشني من
صبي قليل التجارب في مسائل القلب والشعور ، أن
يستطيع التعبير بهذا العمق عن أدق خواجج القلب
والنفس !

فسأله أحدهم :

— إذا فهو موسيقى عظيم .

فأجاب كريسلر :

— لا .

— عجبا ! ماذا ينقصه ؟

فأجاب كريسلر في هدوء :

— الأسلوب .

كلمة لا تدهشنى ولا تدهش كل من عرف
«كريسلر» وأقرانه من الموسيقيين الناضجين ، وتنبع
أساليب تفاسيرهم لمختلف الآثار الكبرى . إن
عجائب الطبيعة وحدها لا تصنع الفنان . إنما الفنان
عمل متصل وصبر طويل فى سبيل الوصول إلى
الأساوب . حقيقة أن الفنان هو شخص موهوب .
ولكن هبة السماء هى مبدأ الطريق . لا بد للمغنى
من صوت جميل ، ولكن الصوت الجميل وحده
ليس هو المغنى .

لقد تبين لى إذاً أن هبة السماء لا تعوز أصحاب
هذه المخطوطات التى استبقيتها ، ولقد تبين لى أيضاً
أنهم لا يملكون غير هبة السماء ، وأنهم لم يبذلوا بعد

من الجهد في سبيل هذا الفن العسير غير ما طالعوه
 من شتات المؤلفات في الأدب العربي الحديث .
 وإني لألمح أثر كرتبي بالذات في هذه المخطوطات ، فهل
 يبيح لي موقفهم هذا أن أعلن أنهم كتاب ؟ إن
 الانصاف يقتضي أن أعترف بأن ما كتبوه لا يقل
 شأنًا عما ينشره كثير من الصحف والمجلات لكثير
 من حملة الأقلام . لكن المسألة عندي أجل من أن
 يقضى فيها بهذه السرعة ، والفن أقدس عندي من أن
 يستهان بشأنه . ينبغي أن أسأل نفسي أو أسأل
 هؤلاء الشبان هذا السؤال أولاً :

— ما هي بغيتكم من كتابة ما كتبتم ؟ وما
 الدافع الذي حملكم على الإمساك بالقلم ؟ أتريدون
 تكريس حياتكم للفن ؟ أم أنها هواية اللحظة ونزعة

من ترعات اللهو قد سنحت ؟

بل ينبغي أن أواجههم بذلك السؤال القاطع
الذي ألقاه الشاعر « رينر ماريا ريلكه » على أحد
تلاميذه في رد على رسالة :

« استيقظ في هدوء الليل والناس نيام ، وكل
شيء في ضميرك ساكن ، وسل نفسك هذا السؤال :
هل إذا حيل بيني وبين الكتابة أموت ؟ فإذا
أجابتك نفسك أن : نعم ، فامض في طريق الفن
ولا تخش شيئاً » .

أنا أيضاً ألقى على من بعث إلى بكتابه هذا
القول . فان كان الجواب :
- لا . أنا لن أموت . ولن ألتخذ الفن هدفاً

في حياتي . إنما هو شيء جميل أود أن أحيط نفسي
به . وهو حلية أحب أن أقنتيها ، وهو ملهة لا
بأس من النزوع إليها في أوقات الضيق والفراغ .
وإني أردت أن تعينني على نشر ما كتبت لأدخل
السرور على نفسي .

عند ذاك أجيب :

— لك ما طلبت .

وأدفع للنشر بما بعث . وتنقطع بذلك الصلة
بينى وبينه . فلا شأن له بي ، ولا بالفن إلا من حيث
هو قارىء وهاو .

أما ذلك الذى يقول لى :

— نعم . إذا لم اتخذ الفن غاية فاني أموت .

فهذا أجيبه :

— ما دامت لك هبة السماء فاني أبذل لك دمي
حتى تمنح هبة الفن .

ولكن شروطى ثقيلة . والوفاء بها عسير .
ومن أراد أن يسير معى ، فليعلم أن الطريق شائك
والأقدام عارية . وأن أول ما أحرمه عليه النشر قبل
الأوان . والأوان هو مرور عشرة أعوام بالأقل
علي اليوم الذى تظهر فيه الرغبة المحرقة فى النشر .
إنه صيام كصيام فقراء الهنود . وصلاة فى معبد الفن
طويلة ، قوامها التأمل والمطالعة ومشاهدة ما يزين
جدران المعبد من آثار منظورة والاصغاء إلى ألحان
الأرغن ، وهى تردد الآثار غير المنظورة ، وحرق
البخور من مخطوطات لم تكتمل النضج وأوراق

سقطت في الخفاء بغير رجاء .

ومع ذلك ... إن الشك يخامرني : أتراني
اقسو في غير موضع القسوة . أترانا نغلو إذ نفرض
على غيرنا أن يكابد مثل ما كابدنا ، وقد تغير الزمن
وتبدلت الظروف ، وربما كابدنا نحن لنوفر على
هؤلاء بعض العناية ، اين هو السبيل الحقيقي لتشجيع
الناشئين ؟ اهو بأظهارهم قبل الاعداد ام بأعدادهم
قبل الظهور ؟ ؟

من أدب الجاحظ

كنت أقرأ للجاحظ منذ أعوام فألفيت عنده
كلاماً كالحوار التمثيلي لم أر مثله في الأغاني وقد بداني
أن أنقل هذا الحوار على شكل « منظر صغير » دون
تغيير في الألفاظ والمعاني . انما سمحت لنفسى
ببعض الحذف وبعض الملاءمة بين وضع الحوار الاصلى
والوضع المسرحى بغير أن أمس جوهر الموضوع .

حتى يبقى الفضل للجاحظ وللأدب العربي . والحق
انه حوار يذكر بالفريدي موسىه في « كوميدياته
وأمثاله » . ولعل عناصر كل نوع من انواع الأدب
والفكر موجودة عند العرب . لكنها مجرد عناصر .
فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونفصلها ونبونها ؟
لماذا لا نضع مثلاً كل حوار من هذا الطراز في
الشكل التمثيلي على قدر المستطاع . ونجمعه على أنه
نماذج تمثيلية من الأدب العربي او على انه إعادة
الشباب إلى الأدب القديم بالبأسه حلة جديدة دون
تغيير للب ؟ اذا صح هذا فان مجال العمل في الأدب
العربي القديم متسع . ولن تفرغ منه اجيال قادمة
برمتها . وهذا هو حوار الجاحظ :

الفراق

المنظر : باب دار كبيرة . جارية كأنها قضيب
يتثنى ، وهى والهة حيرى واقفة فى الدهاليز . وجائية
تخطر فى مشيتها . يدنو منها شيخ ويسلم عليها فترد
السلام بلسان منكسر وقاب حزين .

*

* *

الشيخ : يا سيدتى ! انى شيخ غريب اصابنى
عطش ، فأمرى لى بشربة من ماء تؤجرى .
الجارية : إليك عنى يا شيخ ، فانى مشغولة عن
سقى الماء وادخار الاجر !

الشيخ : يا سيدتى لأية علة ؟

الجارية : (بعد تردد) لأننى عاشقة من لا
ينصفنى ، وأريد من لا يريدنى !

الشيخ : (يتأملها) يا سيدتى ، هل على بسيط
الأرض من تريدته ولا يريدك ؟!

الجارية : انه لعمرى على ذلك الفضل الذى ركب
الله فيه من الجمال والدلال .

الشيخ : يا سيدتى ، فما وقوفك فى الدهليز ؟

الجارية : هو طريقه ، وهذا أوان اجتيازها .

الشيخ : يا سيدتى . هل اجتمعتما فى خلوة فى
وقت من الاوقات أم حب مستحدث ؟

الجارية : (تتنفس الصعداء وتسيل دموعها على
خديها كطل على ورد وتنشئ تقول) :
وكنا كغصنى بانه وسط روضة

نشم جنا اللذات فى عيشة رغد

فافردها الغصن من ذاك قاطع

فيا من رأى فردا يحن الى فرد ؟

الشيخ : يا هذه ، ما بلغ من عشقك هذا الفتى ؟
الجارية : أرى الشمس على حائطه أحسن منها
على حائط غيره ، وربما أراه بغتة فأبهت وتهرب
الروح من جسدي ، وأبقى الأسبوع والأسبوعين
بغير عقل .

الشيخ : عزيز على ، وانت على ما بك من
الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف
القوى . ما أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة .
فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء ؟ أراك
كنت مفتنة في أرض البصرة !

الجارية : كنت والله يا شيخ قبل محبتى لهذا
الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال . ولقد فتنت جميع
ملوك البصرة وفتننى هذا الغلام .

الشيخ : يا هذه ، وما الذى فرق بينكما ؟
 الجارية : نوائب الدهر وأوابد الحدثان . ولحديثي
 وحديثه شأن من الشأن . وأنبئك أمرى : انى كنت
 اقتصدت فى بعض أيام النيروز ، فامررت فزين لى وله
 مجلس بأنواع الفرش وأوانى الذهب ، ونضدنا
 الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع البهار . وكنت
 دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من
 الجوارى جارية «شهران» وكان شراؤها عالياه من مدينة
 عمان ثمانمائة ألف درهم ، وكانت الجارية قد ولعت
 بى ، وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن .
 فلما حصلت عندي رمت بنفسها على تقطعنى عضوا
 وقرصا ... فبينما نحن كذلك إذ دخل على حبيبي . فلما
 نظر إلينا اشماز لذلك ، وصدف عني وعنهما صدوف

المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم ، وعض على
أنامله وولى خارجا . فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين
أسل سخيمته ، واستعطفه فلا ينظر الا بعين ، ولا
يكتب إلى بحرف ، ولا يكلم لى رسولا .

الشيخ : يا هذه ، أفن العرب هو أم من العجم ؟
الجارية : هو من جلة ملوك البصرة .

الشيخ : من أولاد نياها أو من أولاد تجارها ؟
الجارية : من عظيم ملوكها .

الشيخ : أشيخ هو أم شاب ؟
الجارية : (تنظر اليه شزراً) : انك لأحمق .

أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد ، وطرة
رقعاء كحنك الغراب تعلو شقرة فى بياض . عطر
اللباس ، ضارب بالسيف ، طاعن بالرمح ، لاعب بالنرد

والشطرنج ، ضارب بالعود والطنبور ، يغنى وينقر
على أعدل وزن ، لا يعيبه شيء الا انحرافه عنى لا
نقصاً الى منه بل حقداً لما رآنى عليه .

الشيخ : يا هذه ، وكيف صبرك عنه ؟

الجارية : (حالى معه كحال القائل) :

أما التهم — ار فستهام واله

وجفون عيني ساجفات تدمع

والليل قد أرعى النجوم مفكرا

حتى الصباح ومقلتي لا تهجع

كيف اصطبارى عن غزال شادن

فى لحظ عينيه سهام تصرع

الشيخ : يا سيدتى ، ما اسمه وأين يكون ؟

الجارية : تصنع به ماذا ؟

الشيخ : أجهد في لقائه وأتعرف الفضل بينكما
في الحال .

الجارية : على شريطة .

الشيخ : وما هي ؟

الجارية : تلقانا اذا لقيته ونحمل لنا اليه رقعة .

الشيخ : لا أكره ذلك .

الجارية : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبي

صفرة . يكنى بابي شجاع ، وقصره في المربد الاعلى .

وهو اشهر من أن يخفى . (تصيح في الدار :)

يا جوارى دواة وقرطاساً . . .

الشيخ : يا سيدتى وجب حقك على . ولزمتك

حرمتى لطول وقوفى عليك ، وكنت قد سألت

شربة ماء . . .

الجارية : استغفر الله ! ما فهمنا عنك . (تصيح
 في الدار) : أخرجوا الينا شرابا من ماء وغير ماء .
 (تقبل وصيفتان محملتان الدواة والقرطاس
 فتشمر الجارية عن ساعدين كأنهما طومارا فضة ثم
 تحمل القلم وتكتب الرقعة . ثم تقبل ثلاثون وصيفة
 بأيديهن الكؤوس والجامات والاقداح مملوءة ماء
 وتلجا وفقعا وشرابا ... فيشرب الشيخ . .)

الشيخ : يا سيدتي . مع قدرتك على هذا من
 استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري ، فلم
 لا تأمرين إحدى الجواري ان تقف مراعية للغلام
 حتى اذا مر اعامتك فتخرجين اليه . ؟ .

الجارية : لا تغلط يا شيخ !

الشيخ : (يفهم مرادها ويترك خجلا من هفوته) !

انتهى المنظر . وكان في مقدوري ان اجعل منه
فصلاً كبيراً . لكنني آثرت أن أبقيه على أصله .
لأن المسألة عندي : هل تظهر العناصر مع بقائها على
شكلها . أو تتصرف فيها ونستعملها كما نشاء ؟

في جو الأدب العربي

القديم

كنت أعيش في جو الأدب العربي القديم ،
يوم دعيت الى الاشتراك في الاحتفال الذي اقامه
الشعراء والأدباء المعاصرون بدار الأوبرا الملكية يوم
٢٤ يناير ١٩٣٨ ابتهاجا بالزفاف الملكي . ولقد كان
على يومئذ ان اضع مسرحية صغيرة تجعل إطاراً لما

يلقى من شعر ونثر . فكتبت هذه القطعة :

مجالى الشعر والأدب

فى عصر الرشيد

المنظر الأول

نرتفع الستار الاولى عن هرون الرشيد فى
بهوه . وهو جالس الى جانبه وزيره جعفر
البرمكى . وعند أقدامه المنجم ابن نوبخت .
والشمع يمدق به على قضب المناور . والخدم
فوق فرش وقوف .

الرشيد - (لمسرور الحاجب) من يحضرك
من شعراء الكوفة ؟

مسرور - مصعب والرقاشى وأبو نواس .

الرشيد - أَدع لنا أبا نواس .

مسرور - (بالباب يهمس) أبا نواس ! انها ليلة

نثرت لك فيها السعادة الأرق بين أجفان أمير
المؤمنين . ان يكتب الله لك الاحسان لديه ، تكن
ليلة تعرس في صباحها بالغنى .

ابونواس - (همسا) بشرك الله بالخير .

مسرور - (وجه الشاعر إلى الرشيد هامسا في
أذنه) سلم .

ابونواس - السلام عليك يا أمير المؤمنين .

الرشيد - وعليك السلام .

ابونواس - (بعد لحظة تردد) يا أمير المؤمنين .

نور كرمك وبهاء مجدك مجيران لمن نظر إليهما .

تسألني فأجيب ، أم أبتدىء فأصيب بيمين أمير

المؤمنين وفضله ؟

جعفر - (للرشيد همسا) والله يا أمير المؤمنين

انى لأرجو الليلة أن يكون ممتعا . .

الرشيد - أرجو . ادن يا أبانواس ، اسمعنى .

ابونواس - (ينشد) :

والى أبى الأمناء هرون الذى

يحيا بصوب سمائه الانسان

ملك تصور فى القلوب مثاله

فكأنما لم يخل منه مكان

ما تنطوى عنه القلوب بفجرة

الا يكلمه به — الاحضان

فيظل لاستنبائه وكأنه

عين على ما غيب الكتمان

هرون ألفنا ائتلاف مودة

ماتت لها الأحقاد والأضغان

وأغر ينفرج الدجى عن وجهه

عدل السياسة حبه إيمان

الرشيد - (معجبا) لله در شعرائنا، ما احكم

صناعتهم . مسرور !

مسرور - (بين يديه) لبيك مولاي .

الرشيد - أعطه ألف دينار .

ابونواس - (في دهش وفرح) ألف دينار .

انها الليلة السعد ورب الكعبة .

مسرور - (وهو يلقي اليه بكيس الدنانير

يهمس) ألم أبشرك بالخير .

ابونواس - (عند أقدام الرشيد) مولاي .

ليس بمستغرب أن يزدهر الشعر في عصرك وأنت

على هذا الجود . إنك لا تعطى شاعرا أنشد بضعة

أبيات . انما أنت تنثر الندى في حديقة الشعر لتنبت
أجمل الزهر . وستذهب الدنانير ويذهب الشاعر
 ولكن آثار يدك هي الباقية .

جعفر - (همسا) أحسنت يا أبانواس .
 ابونواس - مولاي . انك تجزل في العطاء للشعر
 لا للشاعر . وستذكرك الأيام ، ما بقى على الأيام
 شعر .

هرون - حسبي مدحا . حسبي .
 ابونواس - لقد أجزلت في العطية فدعني
 أجزل في المدح .

الرشيد - أعطيك ذهباً فتعطيني كلاماً .

ابونواس - وأينا الرابع يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد - من ؟

ابونواس - ذهبك هذا سينذهب . أما كلامي
فيك فباق .

الرشيد - صدقت . غير اني أعجب كيف أن
حديقة الشعر المخلدة لا يرونها غير الذهب الناهب .
ابونواس - تلك حكمة المولى الخالد يا امير
المؤمنين . إن البقاء ممتزج بالفناء كما تتمزج الروح
بالجسد .

الرشيد - ما قولك يا جعفر . ان هؤلاء الشعراء
يحدون دائماً لكل مسألة جواباً .

جعفر - لاغرو يا امير المؤمنين . انهم هم البيان .
وهم اللسان في كل دولة وكل زمان .

الرشيد - لسان يطول ويقصر كلما قصرت يد
الملوك وطالت .

ابونواس - (يهز كيس الدنانير) لسان هو في
عصرك الزاهر أطول ما يكون لسانا . .
الرشيد - أخبرني يا أبا نواس . أحقا انكم
معشر الشعراء والأدباء تمدحوننا طمعا في المال
والنوال ؟

ابونواس - معاذ الله ! انما تمتدحكم لوجه الله !
الرشيد - فلو بخلنا وغللنا أيدينا
ابونواس - (ينظر إلى الكيس) كلا بحقك لا
تفعل يا أمير المؤمنين .

الرشيد - (باسم) أتقولون فينا مع ذلك عين
القول ؟

ابونواس - (يهز الكيس) لم هذه الأسئلة
يا أمير المؤمنين !

الرشيد - أجب .

ابونواس - (ناظرا إلى الكيس) انك يا مولاي

لتضعني موضع الحرج ..

الرشيد - أرايت كيف أن النوال هو الذي ..

ابونواس - أجل يا مولاي . هو الذي . . .

لكن ليس هو دائما الذي . . .

الرشيد - أوضح .

ابونواس - انكم معشر الملوك تستشيرون فينا

أحيانا بأعمالكم وشمائلكم جميل الثناء . فأنتم لنا أحيانا

في ذاتكم منبع وحى ، نستلهمكم على الرغم منا ونقول

فيكم أجود الشعر دون أن ننتظر شكراً ولا أجراً .

الرشيد - وكيف لنا علم ذلك ؟

ابونواس - يا مولاي ، الشعر الحق أباج كالخق .

جعفر - (ههسا) مرحى . مرحى .

الرشيد - أتصدق هذا الشاعر يا جعفر ؟

جعفر - ان الشعراء قد يكذبون يا أمير

المؤمنين ، لكن الشعر ...

الرشيد - ماذا ؟

جعفر - صدق الشعر دائما وان كذب الشعراء .

الرشيد - اى والله يا جعفر .

ابونواس - أجل . دعم منا يا أمير المؤمنين .

فنحن قانون ، فينا ضعف الفنانين . أما شعرنا . .

الرشيد - نعم ، نعم . لقد قات كلمة يا أبانواس

أعطيك عليها ألف دينار أخرى ...

ابونواس - (يمد يده سريعا) أطال الله بقاء

أمير المؤمنين ... (ثم يستدرك فيسحب يده

ويسأل) أية كلمة يا أمير المؤمنين ؟

الرشيد - (كالمأمل الحالم) اني انما انثر الندى

في حديقة الشعر . وسيذهب المال والشعراء . أما

حديقة الشعر فباقية . لكنني أسائل نفسي :

«أحقا سوف تبقى حديقة شعرنا على الدهور ؟»

من ذا يطالع لي الغيب فيخبرني (ينظر إلى

منجمه تحت قدميه) أين منجمي ابن نوبخت ؟

المنجم - لبيك مولاي .

الرشيد - أنت نائم .. أرق أنا وأنت تنام ؟

المنجم - بضاعتي الغيب يا أمير المؤمنين .

والغيب نائم حتى توقظه الأيام .

الرشيد - ها أنذا أوقظك .

المنجم - وها أنذا أجيب .

الرشيد - خبرني : هل هذا الشعر الزاهر في
عصرى سيبقى على الدهر أو أنه سيفور كالنجم الآفل
في كبد الأحقاب المظلمة ؟

المنجم - (يطرق ملياً ثم يرفع بصره الى السماء
لحظة ثم يقول) سيبقى .

الرشيد - سيبقى ؟

المنجم - (يتأمل السماء كمن يقرأ كتاباً) انه حى .
الرشيد - أترأه ؟

المنجم - انه حى .

الرشيد - شعرنا ؟ . . . غرس ايدينا ؟ . . .

ابونواس - (يهز أكياس الذهب) أرايت

يا مولاي . دنائيرك لم تضع هباء .

الرشيد - ماذا ترى ؟ خبرنا أيها المنجم ماذا ترى ؟

المنجم - أرى ... أرى شعراء في زى غريب ،
ينشدون شعرا عربيا مبينا كأجود ما يكون الشعر
في عصرك الزاهر ...

جعفر - أيمكن أن يكون للشعر العربي دولة
زاهرة كدولته في عصر أمير المؤمنين ؟

المنجم - لقد غرسوا من غرسه وبنوا على أسسه .
ابونواس - أو عندهم شعراء مثل أبي نواس ؟
المنجم - عندهم شعراء فحول وأدباء ذوو عقول .
الرشيد - في أي مملكة يا ابن نوبخت ما ترى
وفي أي أرض ؟

المنجم - يغلب على ظني أنها أرض مصر .
الرشيد - (كالمخاطب لنفسه) أرض مصر .. ؟
المنجم - اني أرى الأهرام وأبا الهول ...

الرشيد - أو ما زالت من أعمالنا ؟

المنجم - لست أراها من أعمال دولة من الدول .

لكنها مملكة يحكمها ملك شاب من أهلها ، يتكلم

العربية ويكتبها ويحبه الناس . واني أرى الليلة . .

الرشيد - ماذا ترى ؟

المنجم - (يطيل النظر الى الأفق) أرى جمعا

حاشدا قام فيه أكابر شعرائهم وفطاحل أدبائهم

يحتفلون بعرس مليكهم على فريدة من أهل البلاد لا

أشك في أنها فريدة عصرها .

الرشيد - وى وى . أكل هذا تراه الساعة ؟

المنجم - انى اقرأ الغيب كما يقرأ الناس الكتب .

الرشيد - وكيف نعرف أنك حقا ترى ما

تقول .

ابونواس - ان كنت صادقا يا أمير المؤمنين
فلينشد لنا بيتا واحدا من شعر هؤلاء الفحول الذين
يراعم الآن في العرس .

الرشيد - نعم . أسمعنا يا ابن نوبخت شيئا من
شعرهم ان كنت صادقا .

المنجم - اني أفعل أكثر من هذا يا مولاي
ان اذنت لي ..

الرشيد - ماذا تفعل . ؟

المنجم - أريك ما أراه . وأرى كذلك إن
اذنت لي هذا الشاعر المتشكك حتى يصدق وأرى
كل من حضر مجلسك الساعة ..

الرشيد - (في عجب يهتز في مقعده) أو تفعل ؟

ابونواس - ان فعل ، ورأيت شاعرا واحدا

من شعرائهم رأى العين وسمعت يبتا واحدا من
شعرهم سمع الأذن فله ان أذنت يا أمير المؤمنين ألف
دينار من مالى هذا رزقا حالالا .

الرشيد - لقد أذنت فافعل أيها المنجم .

المنجم - (يشير الى الستار الخلفى) انظر يا أمير
المؤمنين الى هذا الستار وحدق فيه مليا . وأنتم أيها
الحاضرون انظروا جميعا ، فانه سينفرج عن غيب
بعيد بعيد . . . وسترون خلفه عالما سوف يأتى بعد
قرون . . .

يرفع الستار الخلفى

عن المنظر الثانى

المنظر الثاني

يرفع الستار الخلق عن الشعراء والخطباء
الذين سيلقون كلماتهم في الاحتفال .

الرشيد - (في همس) عجباً . عجباً . ما هؤلاء
القوم . وما هذا الزى . أترى يا جعفر . لا أحسبهم
من الروم ولا من الفرنجة ولا من الهند ولا من
السند . فاني لم أر مثل هذا الشيء الأحمر فوق
رؤوس اناس من بقية الأمم والأجناس .
جعفر - (همساً . مأخوذاً) نعم يا أمير المؤمنين .
انه لعجب .

ابونواس - (همساً لنفسه) أهؤلاء شعراؤهم
وأدباؤهم . .

« كلمة وزير المعارف »
بهي الدين بركات باشا

الرشيد - (للمنجم بعد فراغ كلمة الوزير) كلام

عربي جميل . من هذا يا ابن نوبخت ؟

المنجم - هذا وزير من وزراءهم .

جعفر - أو عندهم وزراء عديدون ؟

المنجم - عندهم لكل شأن من شئون الدولة

وزير ، وهذا وزير مختص بشئون العلم والأدب

والفن . . .

ابونواس - أصبح للشعراء والأدباء وزير !

لا بأس . لا بأس . . .

(يتقدم « الجارم » ويلقى قصيدته)

الرشيد - (يصفق مع المصفيق) انه والله

نظم جيد ، لم لا تصفق استحسانا يا أبا نواس ؟

ابونواس - فليسمعنا شيئا في الغزل .

جعفر - أو تحسبه واقفا يمشدنا نحن . ألا

ترى الجمع الذي يصغى إليه ؟ ؟

ابونواس - ترى سيأمررون له بكم دينار ؟

(يتقدم «العقاد» ويلقى كلمته)

الرشيد - [يصفق مع المصنفين] هذا والله

نثر صاف ! ما رأيك يا أبا نواس ؟

ابونواس - رأي أن هذا كاتب جبار [يشير

بيده إلى طوله] لو تركوه على عشرة رجال لأكلهم .

المنجم - ومع ذلك فهو ليس بجبار الصحة

كما تظن . فهو ان جار يوما في طعامه مرض ، وان

خلص إليه هواء من ثقب الباب لزم الفراش . وان لم

ينم عقب الغداء تعسر الهضم وان نسي الدواء تعب

الكبد . . .

ابونواس - ترى الرجل الطويل تفر منه

وفي أثوابه حمل ضعيف .

(يتقدم «مطران» ويلقى قصيدته)

الرشيد - [يصفق] شعر رقيق .

ابونواس - أرق من جسمه النحيل . هذا

الشاعر لو نفخ فيه نافخ لطار . أهو يأكل ويشرب

مثل بقية الناس أم يصوم الليل والنهار .

المنجم - على النقيض . ما من وليمة الا

وجدته فيها .

ابونواس - لله في خلقه شئون .

(يتقدم «أحمد أمين» ويلقى كلمته)

الرشيد - [يصفق] ذهن مشرق ، كاشراق

الشمس في ضحى النهار .

ابونواس - مثل هذا كثير في «ضحى الاسلام» !

(يتقدم «الهرأوى» ويلقى قصيدته)

الرشيد - (يصفق) ما قولك في هذا الشاعر

الفحل ؟

ابونواس - (يتأمل جسمه) حقيقة فحل .

الرشيد - تعنى في شعره . ؟

ابونواس - سبحان الله . وهل عنيت شيئاً

آخر . اللهم ادركنا الزلل وسامنا من عثار اللسان .

(يتقدم «المازنى» ويلقى كلمته »

الرشيد - (يصفق) روح خفيف . لو كان في

عصـرى لأغریت به جارية ذات ظرف ودل ،

ونظرت اليها يتداعبان ويتسلاعبان فتوقعه هى فى

شراك لحاظها ...

ابونواس - ويوقعها هو في «خيوط العنكبوت».

(يتقدم على محمود طه و يلقى قصيدته)

الرشيد - (يصفق) شعر رصين ممتليء .

ابونواس - (يشير بيديه) لشاعر ممتليء .

الرشيد - تعنى في شعره .

ابونواس - المعنى في بطن الشاعر .

(يتقدم «البشرى» و يلقى كلمته)

الرشيد - (يصفق) نثر جزل . يخيل الى

أن هذا الكاتب قد اختطف من عصرنا اختطافا

ليوضع بين هؤلاء الناس في هذا الحفل .

ابونواس - هي الحقيقة يا مولاي . أنظر إلى

هذا الشيء فوق رأسه . انه أقرب الى عمامتنا وهذه

التياب على بدنه أشبه بشيابنا . ما يمنعنا اذن من أن

نحتطفه ونرده إلى عصرنا . . ان هو الا بضاعتنا

ردت الينا .

المنجم - لقد فرغ الخطباء يا مولاي . وسينفض

الحفل عما قليل .

الرشيد - اللهم انا قد رأينا الليلة عجبا . اللهم

اشهد ان هذا العصر الذي نرى ، فيه من الشعراء

والأدباء جهابذة وأعلاما لا يقلون في المرتبة عن

شعرائنا وأدبائنا . . وإن كره أبو نواس . . عجبا

أين أبو نواس ؟

المنجم - هرب الخبيث بالدنانير حتى لا يؤدي

إلى الرهان .

الرشيد - انى أؤديه عنه وأزيد عليه . (يصغى)

ما هذه الأصوات ؟

المنجم - تلك أصوات الشعب ترتفع هاتفة

بحياة مليكها المحبوب .

(يعلو الهتاف وينزل النار)

التمثيل

ومسئولية الدولة والأدباء

أحقيقة تقع التبعة في خلو آدابنا من التمثيل على
عائق الأدباء والدولة ؟ مسألة نظرت فيها عقب
انتهائي من قراءة مقال للدكتور طه حسين عن
الأدب العربي والتمثيل^(١) . ومن الانصاف أن

(١) مقال ظهر في مجلة «المصور» أول يونيو ١٩٣٤ .

أعترف أولاً أنني فكرت في هذه المسألة ثم كتبت
هذا الرد بعد تناول القهوة في ختام الغداء والمعدة
مليئة والحر شديد . وقد تركت نفسي تسبح في
تأمل هادئ أشبه باغفاءة الظهيرة . فهل يعتمد على
مثل تلك النفس الهائمة الحاملة اذا ارتدت الى بعد
قليل تهتف قائلة : لا مسئولية على الدولة ولا
مسئولية على الأدباء .

أما أن الأدباء لم يقصروا في امداد المسرح
بثمرات أفكارهم فهو دفاع من الأدباء مقبول وحجتهم
فيه بسيطة : انه لا يوجد مسرح ، حتى يمدوه .
واني لا أذكر أنني قرأت ذات يوم شيئاً معناه : ان
المسرح هو الذي يخلق الرواية المسرحية وأن الممثل
هو الذي يوجد المؤلف . عبارة خبرتها في ذلك الحين

فوجدتها تصدق في كل زمان ومكان قامت فيهما
نهضة تمثيلية . فعند الأغريق ولد التمثيل قبل أن
يوجد التأليف التمثيلي ، وخرج هذا التمثيل من
قلوب الآلهة ودرج في أحضان الدين موسيقى وأغاني
وأناشيد ، وقبل أن يظهر المؤلفون التمثيليون العظام
لم يعرف عن التأليف في اليونان إلا أنه كلام يلقيه
الممثل من فوره عن طريق البديهة والارتجال . وفي
الهند يوم قامت على نهر « الجانج » المقدس نهضة
تمثيلية رائعة قبل ميلاد المسيح بقرن فيما أذكر أو
قرنين إذ أوجد الدين أيضا هذا الفن هناك وجعله
مظهرا من مظاهر الاحتفال بذكرى الآلهة وميلاد
الملوك ، كان التأليف الارتجالي من أفواه الممثلين
سابقا كذلك فيما اعتقد وممهدا لظهور شعراء الهند

التمثيليين ، وفي أوروبا أيضا جرى الأمر على هذا النحو ، وهل ظهر شكسبير وسكارون وموليير إلا في بيئة الممثلين : فوجود المسرح الزاهر يسبق دائما وجود المؤلف العظيم . ولو أن في مصر مسرحا ثابت الدعائم لا تقلب أكثر الشعراء والأدباء كتابا مسرحيين . وهل شوقي كان يجمل القصة المسرحية . انه عاجلها في سن الشباب . فلماذا انقطع عنها ، ولماذا واصل تأليفها في آخر أيامه . إلا أن يكون ذلك لنسمة حياة هبت يومئذ على المسرح المصري الناشئ . فما الأدباء اذن بملومين . ينبغي أن يشب الأديب فيجد المسرح قائما على أقدامه فاتحاه ذراعيه هكذا شب اشيل وسوفوكل و اروييد فوجدوا « التياترون » الأغريقى . وشب كاليداسا فوجد

المسرح الهندي ، وشب شكسبير فوجد المسرح
الانجليزى ، وشب مولير فى فرنسا وكالدرون ولوب
فى اسبانيا فوجدوا الكوميديا الايطالية زاهرة فى
فى المدن والريف . ويشب الأديب المصرى فماذا
يجد ؟ لا شىء من كل هذا . فان المسرح لم يدخل
بعد فى تقاليدنا ولم يكن له شأن بعد فى حياة العامة
ولا فى معتقدات الشعب المصرى الحديث ، وإن
كانت جذور التمثيل كفن بشرى ما نبتت إلا فى
أرض مصر . ولعل الاستكشاف الأثرى يدعم هذا
الزعم فى القريب . فأتى مؤمن كل الايمان أن مصدر
التمثيل عند الأغريق وعند الهنود انما هو فى طقوس
تلقين الموتى فى مصر وما كان يتبادل فيها من حوار
يجرى بين الكاهن وبين شخص يمثل الميت . ولعلمهم

أيضاً كانوا يمثلون في الأعياد الدينية يوم البعث
والحساب والعقاب والميزان بكلام مرتجل أو موضوع
ولم يكتفوا بتصوير هذه العقائد رسوماً على الحيطان .
يشجنى على هذا الزعم عبارة وردت على لسان
هيرودوت أنه رأى المصريين في الموالد يمثلون آلهتهم
في الساحات في أشكال بعض الحيوانات الداجنة
ويجمعون بينها وبين بعض فتيات يمثلن الأرض
والخصب .

إذن ينبغي أن يوجد في مصر الحاضرة المسرح
والممثلون أولاً ، وقد يسلم طه حسين بهذا . لكنه
قد يصيح قائلاً : « فليكن ذلك حقاً . فلماذا لم يوجد
في مصر حتى الآن مسرح وممثلون خالقون أن
يظهروا المؤلفين العظام . من المسئول عن هذا

النقص غير الدولة ؟ » . عندئذ أجيب أن الدولة
في رأيي لا يمكن أن تسأل في هذا . فالدولة لا
تستطيع أن تخلق الفن . كما أن الدولة لا تستطيع أن
تقتل الفن . لأن الفن شيء ينبت بنفسه ، لا يدرى
أحد كيف نبت ، وما من قوة في الأرض تستطيع
أن تمنعه من الظهور ، ومع ذلك فهب أن في مقدور
الدولة أن تصنع شيئاً خلق الفن . فما هو هذا الشيء
على وجه التحقيق ؟ فليطلب طه حسين إلى الدولة
شيئاً بعينه ننظر فيه . وإذا شاء فليتمثاني أنا الدولة .
نعم ، فأنا أرى أحياناً رأي من يقول بأن صلاح
هذه الإنسانية لن يكون إلا بتسليم رجال الأدب
لا رجال السياسة زمام الأمور . فهم أصحاب قلب
قبل كل شيء . وهم بهذا أقدر على فهم الشقاء البشري

وأجدر بقيـادة الانسانية إلى عالم الحرية والاخاء
والهناء . ولو أنى أخشى من جهة أخرى أن صاحب
الأدب إذا انقلب صاحب دولة طرح منظار الأدب
ونظر بمنظار الدولة . أو لم يبلغنا عن شاعر الألمان
« جوته » أنه لما أصبح مستشارا للدولة تقدم إليه
صديقه الموسيقي « بهوفن » يلتمس الأعانة على رقة
حاله . فأهمل المستشار ذلك الالتماس ، ونسى أنه
شاعر له قلب خرجت منه « إيجمون » !

صبر
دلتوشه

الدولة والفن

لقد قلت ان الدولة لا تستطيع ان تخلق الفن
ولا أن تخلقها . لأن الفن ينبت في ضمير الشعب .
وان نوع الشعب هو الذي يحدد أحيانا ويكيف نوع
الفن . وان اهتمام شعب من الشعوب بفن من الفنون
هو الذي يرغم الملوك على الاحتفال به والمفكرين على
الاتجاه اليه . وذكرت أن عناية الجمهور الأغريق

القديم بالمرح ودخول المسرح في عاداته الاجتماعية ،
وحرص الملوك والفلاسفة والمثقفين على مشاهدة
التمثيل في اخطر واقدس المناسبات قد جعل التمثيل
والتأليف في يد كبار الشعراء الخالدين .

كذلك في فرنسا عند ما دخل المسرح في
تقاليد القصور الملكية وفي حياة ارسقراطية الفكر
والدم أصبحت ردهات المسارح ومقاصير دور التمثيل
هى الأمكنة التى تم فيها المقابلات الرسمية الخطيرة
بين الملوك والعظماء والسفراء . واصبحت خياطات
باريس البارعات إنما يعشن على إخراج طريف ثياب
السهرة للسيدات ، يختلن بها فى شرفات المسارح .
ذلك اليوم الذى أصبح فيه للمسرح الفرنسى المكانة
الاجتماعية التى كانت له ، وما تزال ، هو اليوم الذى

ظهرت فيه النهضة الفرنسية المسرحية العظيمة . ولقد قال يوما احد اساتذة السربون :

« إذا نظرنا إلى روايتين تمثلان في بلاط لويس الرابع عشر ، احدهما مذيلة بامضاء « راسين » والأخرى بامضاء « برادون » فإن الفرق بينهما على أهميته هو في المحل الثاني ، فإن مناظر « فرساي » وجو المجتمع في ذلك العصر وحركة « المراوح » في أيدي المصغيات الجميلات واستحسان الدوق والكونت والمركيز ، كل هذا هو الذي حدد الشكل النهائي لأدب المسرح الفرنسي . »

فالجمهور هو الذي يوجد المؤلف والمسرح . والجمهور المحترم هو الذي يوجد المؤلف المحترم والمسرح المحترم . وكل هؤلاء جميعا القوة التي تدفع الملوك والقيصرة القابضين على زمام الشعوب إلى أن

يمسكوا أيضا بذلك الحبل الذي يهز مشاعر رعاياهم
وان يجعلوه دائماً في أيديهم . . . وأن يشدوه عصباً
ممدوداً يربط قلوب الجماهير بقلوبهم .

لقد كان نابليون شديد التحمس للمسرح ،
يراقب ادارة «الأوبرا» بنفسه ويشرف على اختيار
رواياتها حتى وهو خارج فرنسا . لا تشغله عن ذلك
حروبه الكثيرة ولا تنقلاته ومغامراته . وفيما يلي
بعض رسائل وجهها الى وزرائه في هذا الشأن وهي
منقولة عن كتاب « نابليون وعالم المسرح » لهنري
لكونت .

(بولونيا ٢٣ يونيو ١٨٠٥)

الى مسيو فوشيه

ارجو منك ان تخبرني ما هي قصة (دون جوان)

التي يريدون تمثيلها على مسرح الأوبرا ؟ فلقد طلبوا
الى ان اعتمد نفقات اخراجها . أريد أن أعرف
رأيك في هذه الرواية من حيث فائدتها لروح الجمهور .
نابليون

(برلين ٢١ نوفمبر ١٨٠٦)

إلى مسيو كمباسيرس

إذا كان الجيش يجهد على قدر ما يستطيع في
سبيل شرف الأمة فلا اخفي عنك ان رجال الأدب
يصنعون كل شيء في سبيل الحاق العار بالأمة . لقد
اطلعت البـارحة على ذلك الشعر الرديء الذي
ينشدونه على مسرح الأوبرا . بلغ مسيو دي لوسيه
استنكارى لهذا الحال ، وان مسيو دي لوسيه ووزير
الداخلية كان في مقدورهما تفادي ذلك لو انها غنيا

باعداد الرواية قبل التمثيل بثلاثة شهور . الكل
يقول انه ليس لدينا الآن أدب ، ان الذنب في ذلك
واقع على عاتق وزير الداخلية . ان الشعر لا يصنع في
لحظة بمجرد الطلب كما يصنع ثوب من الموسلين .
لقد كان على وزير الداخلية أن يتأهب للأمر قبل
العمل بوقت كاف ، فان لم يكن قد فعل شيئاً بعد لهذا
العام فكلفه ان يستعد منذ الساعة للعام المقبل .
نابليون

(فارسوفيا في ١٦ يناير ١٨٠٧)

الى مسيو شامباني

مسيو شامباني ، لقد قرأت بسرور كثير
اناشيد الأوبرا . فبلغ المؤلف رضاي ولقد أمرت أن
تقدم اليه هدية من أجل قصته « جوزيف » .

فاخطرني بما تم في ذلك ، على أى حال ينبغي
 ان يكافأ . واعلم ان خير وسيلة تمجدونني بها دائماً هي
 ان تقوموا بأعمال توحى باسمي مشاعر البطولة إلى
 الأمة والشباب والجيش .

نابليون

ولقد صاح نابليون في مجلس الوزراء يوماً :
 « امضوا ، امضوا قدما في سبيل الاستكشاف .
لا أريد أن يشعر في عهدي رجل ذو موهبة أن فضله
قد غمط . يا مسيو شامباني ، إن الأدب في حاجة
 إلى التشجيع . وانت الوزير المنوط به ذلك . اقترح
 على وأشر بالوسائل التي تحدث هزة تبعث النشاط
 في مختلف فروع الأدب ، هذه الآداب الجميلة هي
 التي كانت في كل زمان نخر الأمة وزينتها ، إني

اتوق منها تكن الظروف ان ائيب وأكافىء قصة
تمثيلية رائعة ! »

فالأمر إذن قد انجلي عن هذه النتيجة : الشعب
يخلق الفن والدولة تكفل ازدهاره . الأرض تنبت
والبستاني يتعهد بالرى . فاذا قلنا ان فن التمثيل وجد
فى مصر والشرق العربى ولكن الدولة وقفت منه
موقف اللاهى عنه غير المكترث له فانها تكون قد
نخلت عن واجب من واجباتها العظمى وأفلتت من
يدها الزمام الذى تستطيع به أن تسير بالشعب الى عالم
السمو الروحى والخلقى .

خطرات في الفن

الأُمم تشعر في أطوار تاريخها كما يشعر الفرد
في أطوار حياته . ومظهر شعورها هو ما نسميه
«الفن» . ويدلنا تاريخ الفن على أن شعور الأُمم
خاضع لعين الناموس الذي يخضع له الفرد : ناموس
السن والزمن . فكما أن للشباب إحساسه المتجه غالباً
إلى الطموح والأمل والتفاؤل بالحياة ، كذلك

الأُمم في عهود شبابها يتجه منها إلى «المثل الأعلى» .

✱

✱ ✱

ثم يولى الشباب فيغرب نجم « المثل الأعلى » ،
وتمحو الحياة بواقعها رائع الأحلام ، وتحل القناعة
محل الطموح . ويتجه الأُحساس الى الواقع ويكتفى
بالكائن الموجود . في هذا الطور ظهرت
« المذاهب الواقعية » في الفن . هذا الناموس يبدو
أثره في تاريخ كل إحساس إنسانى على الأطلاق :
« المثل الأعلى » أولاً . ثم « الواقع » . « المسيح »
قبل « محمد » .

✱

✱ ✱

نعم . المسيح رمز المثل الأعلى للمشاعر
الإنسانية . ومحمد رمز الواقع والحياة والمنطق

البشرى . حتى الأديان تخضع لهذا القانون . إني
مخطئ، إذ أقول «حتى الأديان» . أو ليست الأديان
قبل كل شيء، تعبيرا آخر عميقا عما في نفس
الإنسانية !



إذا اعتبرنا مصر الحديثة اليوم في طور شباب ،
له آمال وأحلام ، فأين الفن المصاحب لهذا الطور ،
المعبر عما يحتاج فيه من إحساس ؟ هل يجوز للفن
أن يتخطى هذا الطور ؟ من لم تكن له أحلام زمن
الشباب يمر بالحقيقة بعد ذلك ولا يفهم عنها شيئا .
ومن لم يكن له مثل أعلى أيام الصبا هو ناقص
التكوين الذي لا رجاء منه فيه الحياة . إنما «الواقع»
لا يفهم إلا «بالخيال» . ولا حقيقة بلا حلم .

وينبغي ان يكون هناك حلم كي تكون هناك حقيقة .
ويجب أن نعرف المثل الأعلى أولاً إذا أردنا أن
نعرف الحياة .

*

* *

لكن ... من أين ينبع حمانا ومثلنا الأعلى ؟
من قلب أرضنا . لا شعور ولا تفكير إلا مصدرهما
الأرض . لقد قلت ذات مرة : كما ينتسب الولد
للأفراش كذلك الفن للأرض . لقد قلت كذلك
في فصل عن منابع الفن المصري ^(١) أن مصر هي
« البعث » . وأن كل شعور مصر منذ فجر التواريخ
قائم على هذه الكلمة : « البعث » . لماذا ؟ لأن
أرض مصر التي لم يتغير جمالها على الزمن ، تلك التي

(١) راجع كتاب « تحت خمس الفكر »

تري نيلها وجوها وكل شيء فيها يسير على نظام
لا ينحرف منذ الأزل ، قد غرست في نفوس أهلها
الآيمان بها . مصر لن تموت . ولن تموت فيها دجاجة
أو بطة أو أوزة . . . كل شيء يبعث ليستأنف على
هذه الأرض الخصبة الخالدة حياته الوادعة الهادئة
التي لن تزول . موت وبعث . . . وبعث وموت . . .
هكذا دواليك مثل ساقية النيل ذات الجرات
الحمراء . . .

هلا تكون في أعماقنا اليوم عقيدة كهذه
العقيدة ، فنأمل لكل موت في نفوسنا يبعث
قريب ؟

*

* *

« إيزيس » المرأة والآلهة هي التي بعثت زوجها

« أوزيريس » بعد موته ، وأعادت اليه الحياة . تلك
أسطورة مصر الخالدة .

و « شهرزاد » المرأة والآلهة (فى نظرى) هى
التي بعثت زوجها « شهریار » بعد موت نفسه ،
وأعادت إلى « إنسانيته » الحياة .

الملك الوحشى الذى كانت تقدم اليه فى كل ليلة
امرأة ليقتلها فى الصباح ، من حديث شهرزاد تعلم ،
وفى قصصها تثقف ، وعادت له نفس .

شهرزاد هى استمرار شخصية إيزيس . لهذا
كان شعورى دائماً ان كتاب « ألف ليلة وليلة » هو
فى جوهره مصرى عريق .

*

* *

« بودا » الرجل والآله خلا إلى نفسه أربعين

يوما تحت الشجرة المقدسة ، ليخرج للناس الحكمة ،
فيريهم النور .

و «بيدبا» الرجل والآله (في نظري) خلا إلى
نفسه زمنا ليخرج كتاب الحكمة لدبشليم الملك
الوحشي « فيريه النور » .

*

* *

في مصر هي المرأة . وفي الهند هو الرجل .
في مصر البعث على يد المرأة .

*

* *

تحت تأثير هذه الخواطر كتبت رواياتي «شهرزاد»
و«أهل الكهف» و«الملهمة» أو «الخروج من الجنة» .
وتحت تأثير افتتاحي بأيزيس ، رسمت أشخاص
بطلاتي : «شهرزاد» و«پريسكا» و«عنان» . كل واحدة
منهن ليست سوى «إيزيس» في رداء جديد !

الجمال العارى

سألتنى إحدى الصحف عن رأي فى «الجمال»
المصرى بمناسبة الصيف . فترددت . لأن الصلة بين
«الصيف» و «الجمال» تذكر فى الحال بالأجسام
العارية من تماثيل الرخام الحية التى تخطر فوق الرمال
كأنها عرائس البحر الخرافية ، التى تقول الأساطير
إنها كانت تغرى بسحرها النوتية فيقتفون آثارها

إلى حيث تعانقهم الأمواج وتجذبهم الهاوية !
على أن الحديث عن الجمال فى ذاته يغرينى دائماً
وان كنت لله الحمد لست من صرعاة ؟ وأقصد
بالجمال هنا « الجمال الحى » . ذلك أن « الجمال الفنى »
هو وحده الذى يستطيع أن يصرعنى . فلا بأس اذن
من أن أتكلم بغير خوف ولا حذر .
تسألوننى عن « الجمال فى مصر » فاسمحوا لى
أن أقول انى لم أره . فالجمال الذى يعرض عارياً على
الشواطىء ، للأعين العابرة لا يسمى فى عرفى جمال .
إنى لا أستطيع أن أفصل الجمال الخارجى عن الجمال
الداخلى . فالجمال عندى وحدة لا تتجزأ قوامها
الجسم والروح معاً ، كالضوء فى الكوكب والعطر
فى الزهرة . وأظن هذا هو الرأى عند أكثر رجال الفن

فان المصورين والمثالين والشعراء عند ما
أرادوا أن يخلدوا « جمال المرأة » في لوحاتهم
وأحجارهم وأشعارهم لم يلتفتوا إلى الجسم الظاهر
وحده ولكنهم سجلوا الجمال الداخلى للمرأة أيضا .
هذا ما يفسر لنا تراجم المصورين الخالدين من أمثال
« يروجيني ورفايل واندريا دلسارتو » على شخصية
مريم البتول « المادونا » عندما أرادوا تسجيل جمال
العذراء . كذلك فعل صانعو تماثيل إلهة الجمال :
« فينوس » فقد حرص صانع تماثيل « فينوس دى
مديتشى » أن يظهر لا جمال الجسم وحده بل جمال
الروح أيضا فى ذلك الخفر والحياء وروح الفضيلة
المتجلية فى حركة اليد لذلك التمثال الخالد . كما عني

الفنان الذى صنع تمثال « فينوس دى ميلو » باظهار
جمالها الداخلى فى تلك الوقفة التى تدل على الترفع
والجلال والنبيل والسمو الروحى . كذلك الشعراء
مثل « دانتى » و « بترارك » فى اشادتها بالجمال
الحق : جمال الفضيلة والطهر للمرأتين اللتين
الهماهما أنبل الاحساسات وأرفع المشاعر وهما :
« بياتريس » و « لورادى نوفيس » . فالفضيلة كما
ترى شرط أساسى عندى « لجمال » المرأة .
وانى لا أصدق مطلقا هذا الهراء الذى يتحدث به
اليوم كثير من الحمقى عن صفات « الاغراء » فى المرأة
واعتبارها من مزايا جمالها الداخلى . كلمة « الاغراء »
و « السكس آيل » و « اليومف » وكل هذا السخف
ليس إلا مظهرا من مظاهر الانحطاط الصارخ فى

مستوى الفن الحقيقي ودليلا من أدلة الانهيار المخجل
 للقوى الروحية في عصرنا الحاضر . وإذا استمر
 الحال زمنا آخر على نزع الجمال الروحي النبيل هكذا
 والالقاء به في اهمال مهين بعيدا عن جمال الجسد
 الرخامى البارد فقولوا العفاء على كل فن عظيم وكل
 ذوق سليم .

إني واثق انه لا يوجد فنان واحد حق يرى
 جمالا في ذلك الصف الطويل من اللحم العارى الذى
 يعرض على الشواطىء أو على المسارح فى شكل
 سباحات أو راقصات . إن الجمال أيها الناس ليس
 مجرد لحم أو رخام . انما هو شيء آخر داخل ذلك
 الاطار الأصم . هو شيء نوراني يضيء ذلك الهيكل
 الخارجى . إن الجسد العارى وحده جثة بلا روح

ومعبد بغير إله .

أما الجانب الآخر من السؤال وهو جمال المرأة
 في مصر فلست أدري ماذا أجيب عنه . فهو فضلا
 عن دقته ، مما لا ينبغي أن يؤخذ فيه رأي . فأنا
 لست من رواد الشواطئ ولا المسارح ولا حتى
 المجتمعات البريئة التي تقع فيها الأعين على الوجوه
 الوضيئة . إنما أستطيع على كل حال أن أقول فيما
 يتعلق بى إن عيني لم تقع في مصر على جمال كامل .
 فالمرأة التي تأنس في صورتها شيئا من الملاحظة تحسب
 أنها قد ظفرت بكل شيء فتتبه دلالا وتنسى أن جمال
 الصورة وحده لا يكفي . وأن لا بدله من الشطر الآخر :
 جمال النفس . وانها ما زالت ناقصة عليها أن تزين
 نفسها بالتشقيف وأن تحلى روحها بالفضائل . لقد كانت

٥٤
 المرأة
 العارية
 في مصر

«مدام ريكاميه» أجمل نساء عصرها وأعمقهن معرفة
 وثقافة . وكذلك كانت كثيرات من نساء
 صدر الاسلام ، لا يفرهن ولا يخدعن الجمال
 الخارجى عن الجمال الداخلى .
 فأين اليوم المصرية التى وهبها الله جمال الصورة
 فقرنت به جمال الروح والعقل والأخلاق ؟ إن
 أكثرهن دى من الجبس مصبوغة ، وعرائس من
 الخشب مطلية . أشكال قد تسر الأنظار دقيقة أو
 دقيقتين ولكن العياذ بالله إذا حكم عليك بالجلوس اليهن
 ساعة أو ساعتين ، وماذا تنتظر أن تجد خلف هذه
 القشرة وهذا الطلاء ؟

أيتها النساء والفتيات اسمعن منى نصيحة خالصة

لوجه الله : انظرن ساعة فى المرأة وساعتين فى
الكتاب النافع الذى يجلى لكن كنوز نفوسكن
وفضائلكن . اجعلن ساعة لمرآة الوجه وساعتين
لمرآة النفس . اذا أردتن الجمال الذى يدوم .
انى لوائق من النتيجة لو سمعت نساؤنا النصيحة :
نتيجة كأنها من فعل السحر والسحرة . فان الدى
المطلية ستضىء من الداخل بنور جميل ، والعرائس
الخشبية ستتحرك فى حياة خصبة منتجة ناشرة حولها
الخير والسعادة . . . أما من آنست فى صورتها نقصا فى
الجمال فهى عادة تلك التى تتوفر على تشقيف نفسها وتحلية
روحها بالفضائل لتعوض بجمالها الداخلى ما فقدته من
الجمال الخارجى . هذه المرأة أيضا تحسب انها بهذا
الجمال الداخلى وحده تستطيع أن تظفر بكل شىء .

فترها تهمل جسمها حتى يصبح منظرها يزهد الناس
 حتى في الدنو منها لاستكشاف كنوزها الخفية . إلى
 هذه أيضا أوجه النصيحة : لا تهمل جسمك بل
 تعهده بالألعاب الرياضية وبكل ما يظهره في أحسن
 هيئة . فان فعلت ذلك استطاعت وضاعة نفسك أن
 تضي عليه نورا يظهره جميلا وان لم يكن بالجمال
 الموهوب .

ليس في مصر جميلات بالمعنى الكامل الشامل
 لهذه الكلمة . لأن الجمال الخارجى منفصل عندنا
 عن الجمال الداخلى . ومن أعطت احدهما لا تريد أن
 تكمله بالحصول على الآخر .

تلك مسألة فهم وإرادة . وهما خلتان ينبغى
 أيضا أن تتوافرا في المرأة المصرية . . .

الالهام النفسى

يحدث أحيانا أن يفوه الانسان بأشياء لا يدرك
خطرها إلا فى المستقبل . وهذا ما حدث لى . لقد
نشرت فيما يظهر أشياء منذ سنوات ثلاث لم ينبهنى
إلى أهميتها إلا الهز هتار منذ شهرين . فقد أذاع
نداء دوى صده فى أرجاء أوروبا يستنهض به شعوبها
إلى ما سماه « الحروب الصليبية » ضد « الماركسية أو

البلشفية « ثم عبأ الملايين من البشر للزحف على روسيا التي استقبلته هي الأخرى بملايين من البشر . كانت تلك أول مرة في نظر صحف العالم اطلقت فيها اسم « الحروب الصليبية » على هذه الملاحمة الانسانية الكبرى . هنا تذكرت انى أنا توفيق الحكيم الكاتب المصرى كنت ولا نخر أول من أطلق هذا الاسم على هذه المعركة التى تنبأت بها قبل وقوعها بسنوات ثلاث . وهرعت إلى كتابى «عصفور من الشرق» الذى نشر عام ١٩٢٨ وفتحت صفحة ١٠٢ فى آخر الفصل الثانى فاذا به هذه الكلمات : « وإنى لا تنبأ لك منذ الآن بوقوع نوع من «الحروب الصليبية» بين «الماركسية» و«الفاشستية» تحشد فيها الدهماء ضد الدهماء وتتناثر فيها الجثث

وتتطير الأشلاء ... الخ»

عجبا من العجب ! لو كان هذا الكتاب مترجما
إلى الألمانية لقلت أن هتلر اقتبس هذه العبارة على
عادته فى اقتباس آراء الأدباء والمفكرين . ولكن
الكتاب لم يترجم إلا إلى الفرنسية وفى الحق انه ما
كاد ينشر فى هذه اللغة حتى فطن بعض اذكىاء النقاد
إلى ما فيه من تنبؤات . أما أنا فكنت آخر من
فطن إلى مواهبى كمنجم !! اليوم فقط أتأمل هذه
الظاهرة بشئ من الاهتمام وأقول فى نفسى : أهى
قوة ملاحظة ودقة استنتاج لما يحدث حولى من
أحداث العالم أم هو بعد نظر سياسى وحسن استقراء
لما وراء الآفاق . من المبالغة أن أزعـم أن لدى هذه
الصفات . انى حقيقة أرى فى نفسى أحيانا قدرة

فطرية على استخراج اشياء كثيرة من مجرد النظرة
الواحدة واللمحة العابرة سواء كان ذلك فيما أقرأ في
الكتب والأخبار أو فيما الحظ من مشاهد الحياة
والأحداث . ولكني أكثر ميلا إلى الاعتقاد فيما
يسمونه الألهام . نعم واني لا تذكر الآن حوادث
كثيرة في طفولتي كان يدهش لها من حولي . أذكر
الآن منها حادثة أو حادثتين وكانت سني لا تتجاوز
السادسة فيما أظن : كنا يوما جلوسا وإذا ببرقية
جاءت تنعى عمالي كان اسمه « محمود » . برقية ما كاد
يفضها الحاضرون ويقرأون نصها « محمود توفي اليوم »
حتى بكوا وهاجوا وماجوا وقاموا إلى ثياب الحداد
يرتدونها . فسألهم ما الخبر فقالوا لي « عمك مات »
فقلت « انه لم يمت » فعنفوني فأصررت وصحت بهم

« لم يميت . لم يميت . . أنا أقول لكم انه لم يميت
 وسترون » فعجبوا قليلا لى ولكنهم أخذوا قولى على
 انه عبث أطفال وعادوا إلى بكائهم . وجاء العصر وإذا
 بالبيت يحضرو معه سلة فيها خوخ وأخرى فيها كعك .
 فنظروا اليه واجمين ونظر اليهم دهشا ورأى حدادهم
 فقال هامسا : (من الذى مات عندكم ؟) فأراد أحدهم
 أن يقول له (أنت) . ولكنى قاطعته عند ذلك بصيحة
 الظفر والانتصار (ألم أقل لكم انه لم يميت) ؟
 وانجلى حقيقة الأمر أخيرا عن غلط عامل
 التلغرف الذى استبدل كلمة (توجه) بكلمة (توفى)
 ومراحلات بسلام ولكن الجميع اعتقدوا فى الولاية .
 وحدث مرة أخرى أن كنت أطل من نافذة
 تشرف على الخط الحديدى فدخل قطار المحطة فقلت :

في هذا القطار جدتي قادمة من الاسكندرية . فسخر
منى أهلي لأن جدتي قد طال عليها العهد دون أن
تسافر أو تترك بلدها . وأن مجيئها ينبغي على الأقل
أن تسبقه برقية . ولكن دهشة الجميع بلغت غايتها
عندما رأوا عربة تقف بباب البيت بعد نصف ساعة
من كلامي وإذا هي جدتي تدخل علينا بحقائبها .

وكثرت أمثال هذه الحوادث مني حتى أصبحت
في نظر المحيطين بي وليا من أولياء الله . ذلك جانب
من طفولتي كدت أنساه ومحسن بي أن أرجع إليه
يوما لا دونه . فطفولتي مملوءة بالغرائب منذ ولدت .
وحتى ساعة ولدت قيل انى لم ابك مثل سائر الأطفال
فحسبوني نزلت ميتا وكان الوقت ليلا ، فنبدوني
للاعتناء بالأم المريضة . فلما عادوا إلى وجدوني في

أتم صحة ساكتا صامتا أنظر فى عجب وسرور إلى
 نور المصباح . اترانى أحببت (النور) منذ النظرة
 الأولى ! ينبغى أن أنفـذ إلى طبقات الحكمة
 العليا أو علي الأقل أنتظر آخر أيام الشيخوخة حتى
 أكون خليقا بالكتابة عن أسرار الطفولة !

هنالك إذن ما يدل على انى خلقت لأكون
 (وليا) . ولكن الحياة (المودرن) وما فيها من
 أساليب التعليم العصرى والثقافة النفعية تعرف كل
 الاعمال وفيها متسع لكل الوظائف من المهندس
 والضابط والطبيب والمحامى وحتى السياسى والصحافى
 والممثل والحرامى ولكنها لا تتسع لوظيفة (ولى) . لم
 يعد (للولى) مكان فى مجتمعنا الحديث كما كان له فى
 المجتمع القديم . فاذا إذن كان يصبح مصيرى !?

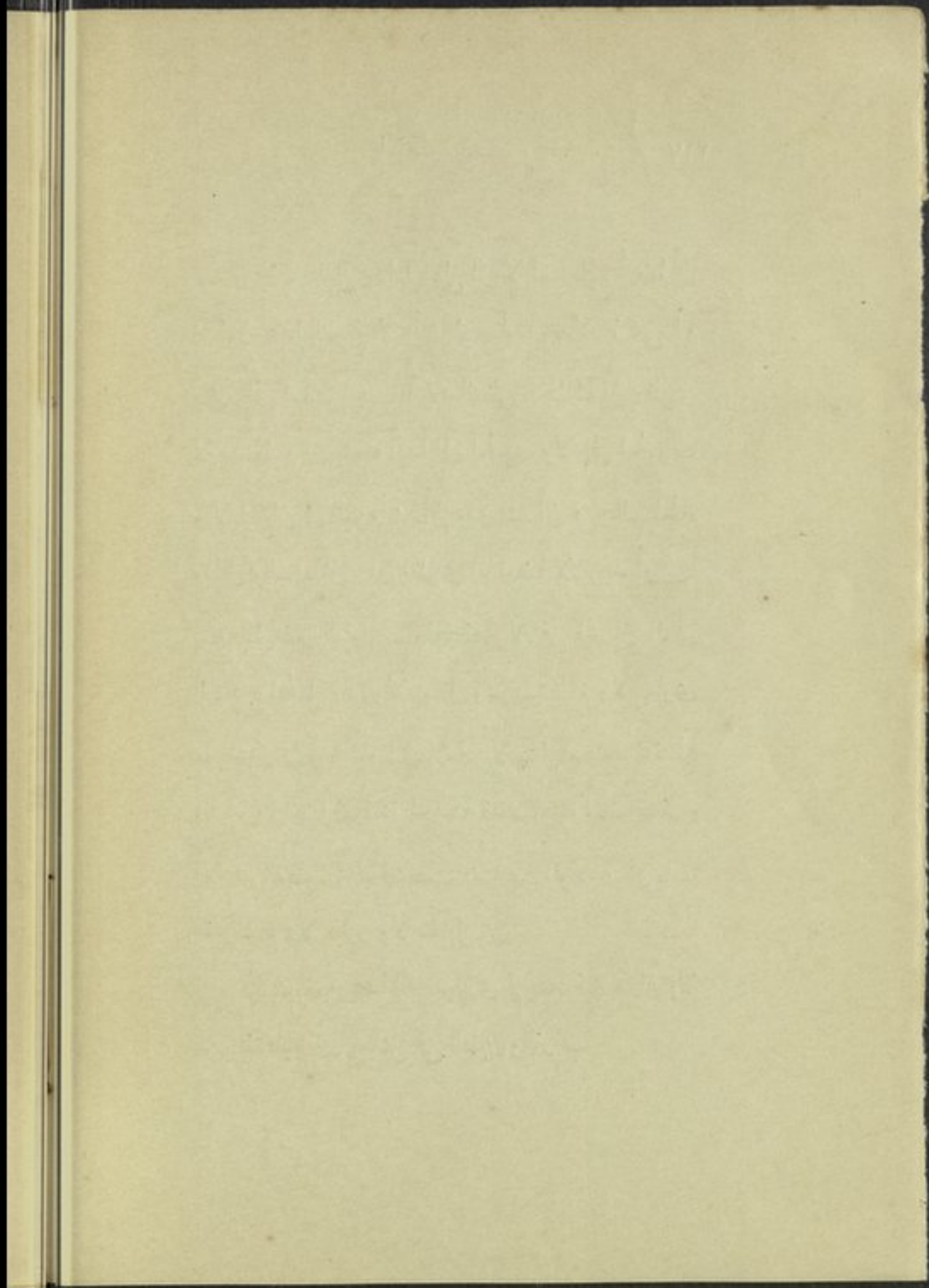
هكذا انطفأت في نفسى تلك الموهبة السماوية .
وأسدلت بينى وبين الغيب الحجب . ثم اختار لى
القدر حرفة لعلمها أقرب الحرف إلى تلك الطبيعة
الغريبة . هى حرفة القلم ، والله قد « .. علم بالقلم ،
علم الانسان ما لم يعلم » به على الأقل استطيع أن
أنفذ ببصيرتى أحيانا خلال حجب النفس البشرية .
شكرا للقدر اذن على انقاذه اياى من مهنة (الولى)
فى هذا الزمان . أن الاضطلاع بها اليوم يحتاج إلى
صفات عملية . والقدر يعلم انى رجل غير عملى . فأنا
لن أعرف كيف استغل مواهب السماء استغلالا
عصريا . وما كان يخطر لى على بال أن أستخدم
الولاية فى (التنجيم) فيصدر لى فى كل عام (تقويم) !
لقد خشى القدر على الموت جوعا إذا جعلنى

(وليا) فى هذا المجتمع المادى . فدفمنى الى القلم وقال
لى ما دمت اعرف انك لن تخرج (تقويم الحكيم)
فاكتب على الأقل كتابا مثل (حمار الحكيم)
وسأهمس من آن لآن بين سطورك البسيطة
الأسلوب وبين كلماتك الواضحة كما الغدير بأشياء
بعيدة التفسير ، لن يراها غير القارىء العميق . بل
لن تراها أنت نفسك فى كل الأحيان . والحق انى
لحظت أخيرا فى بعض كتبي انى تنبأت دون أن أشعر
بشئ من تصرفاتى فى المستقبل ، وانى خططت
بقلمي بغير ان ادرى خطوطا فى لوح قدرى . ان
أكثر الكتاب يعيشون حياتهم أولا ثم يكتبونها بعد
ذلك . أما أنا فاكتب أحيانا حياتى أولا ثم أعيشها
بعد ذلك . يا له من شئ مخيف : أن يصدر الانسان

حكما على نفسه وعلى حياته ومستقبل ايامه بالقلم الذى
تعبت به اصابعه ! اللهم ارحمنى من نفسى ومن قلمى !
على انه قد يسألنى سائل فطن : اذا كنت لم
استطع ان اكون وليا ولا منجما فلماذا لا اكون
دبلوماسيا ؟ ان هؤلاء الثلاثة يشتركون من غير شك
فى عين الهبة : وهى النظرة البعيدة المرمى . هذا صحيح .
ان الولى والمنجم والدبلوماسى مرتب فصيلا واحدة
والفرق بينهم هو ان الولى لا يريد ان ينظر إلى غير
السما . والمنجم لا مانع لديه من أن ينظر أيضا إلى
جيوب الناس ممن يبيعهم (بالقطاعى) بعد نظره !
أما الدبلوماسى فهو ينظر إلى السماء وإلى الجحيم وإلى
الجيوب وإلى كل جهة يستطيع بعد نظره أن يريه
فيها مطمعا من مطامعه الكبيرة . هنا أصرح بأن

عندى الف دليل ودليل على انى لا يستطيع أيضا أن
اكون هذا النوع الثالث لو سامنا جدلا بزعمى أو
وهى انى املك احيانا بعد النظر . ذلك أن نظرى
لا يستطيع ان يتجه أبدا الى الجحيم ولا إلى الجيوب
والا لكان لى اليوم شأن واى شأن فى عالم الجاه
والمال والسلطان . ان نظرى انا ايضا لا يريد أن
يتجه إلى غير السماء . ولكن لا فى ايمان الولي
الساذج الجميل الذى لا يسأل ولا يستطلع ولا يمارى
بل ايمان تشوبه أحيانا علامة الاستفهام عن حقيقة
(النور) . انها ثقافتنا الحديثة قد سابقتنا أيضا صفاء
الايمان الفطرى . فهبطت بنا عن الولاية درجات
بغير داع ولا مبرر ولا مقابل .

اللهم العن هذا العصر الذى لم يعد فيه مكان إلا
لمن يستطيع أن يعيش فى الطين والتراب . . .



الفهرس

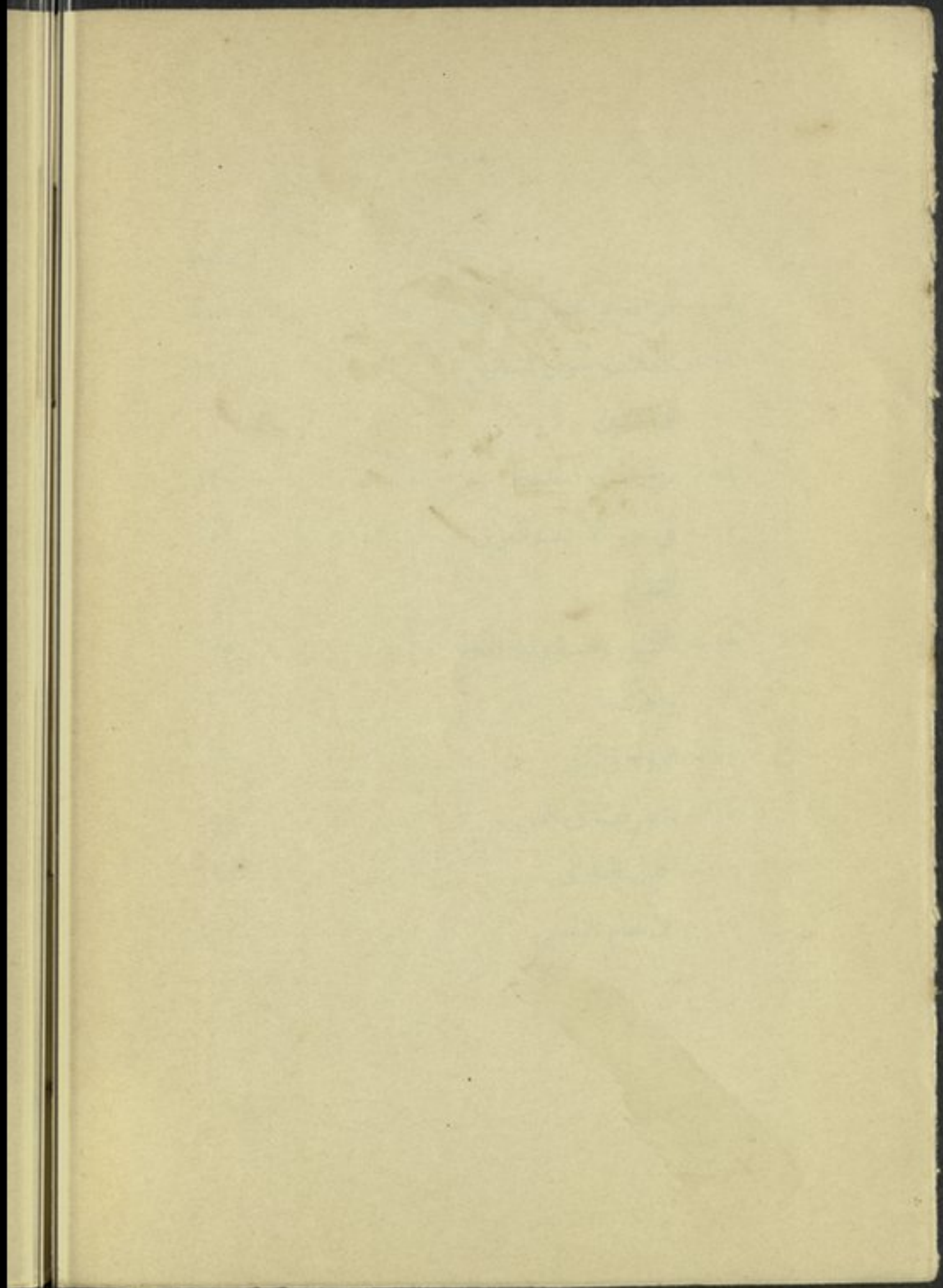
صفحة

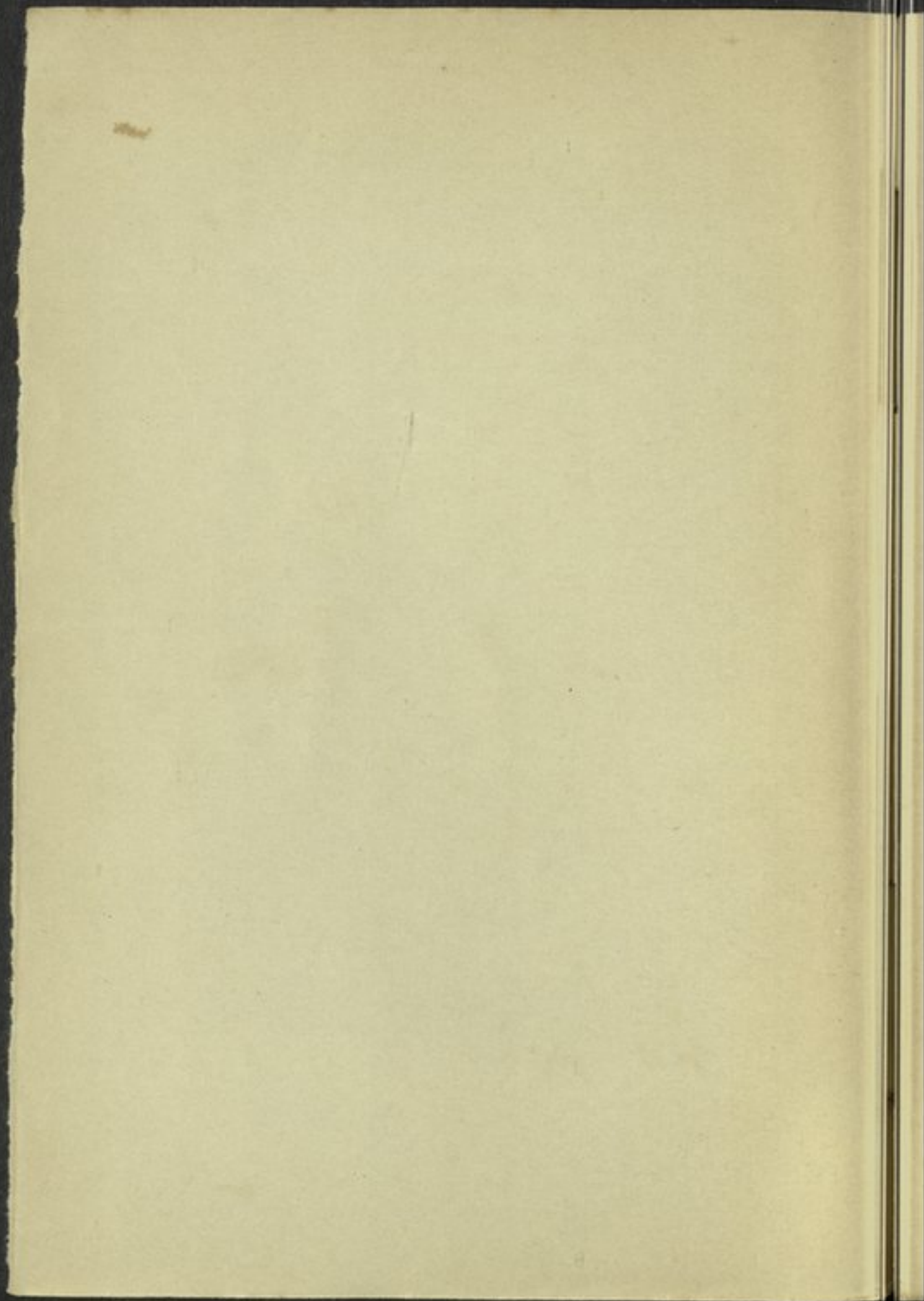
- ١ - ابن عبد ربه في قهوة ٩
- الشقيقات الثلاث
- ٢ - روميو وجوليت عند ٢٦
- الفردوس
- ٣ - الخاتم السحري ٤١
- ٤ - شهر زاد ومونمارتر ٤٨
- ٥ - مصير الأناسان ٧٣
- ٦ - هل فهم أدباؤنا المعاصرون ٧٩
- حقيقة رسالتهم
- ٧ - هل تنقص المرأة بعض ٩١
- المواهب الفنية
- ٨ - أثر المرأة في أدباؤنا ١٠٢
- المعاصرين

صفحة

- ٩ - الواقع والخيال في الفن ١١٨
- ١٠ - تأملات حول تشجيع
الناشئين ١٢٧
- ١١ - من أدب الجاحظ ١٤٠
- ١٢ - في جو الأدب العربي
القديم ١٥١
- ١٣ - التمثيل ومسؤولية الدولة
والأدباء ١٧٥
- ١٤ - الدولة والفن ١٨٣
- ١٥ - خطرات في الفن ١٩١
- ١٦ - الجمال العاري ١٩٨
- ١٧ - الألهام النفسى ٢٠٧

1431042.14510.





A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00507851

